إحصاء ما اقترن من الأسماء الحسنى في القرآن الكريم

بقلم
د. أمير علي الحداد

الطبعة الثانية
١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، فإني لا أحصي ثناءً عليه سبحانه هو كما أثنى على نفسه...

وأصلي وأسلم على محمد رسول الله صلاة كما يحب ربنا ويرضى وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستنَّ بسنته إلى يوم الدين..

أما بعد: فإن كاتب هذه السطور يشكر الله عز وجل على النعمة العظيمة التي تفضل بها سبحانه عليه بأن هداه لجمع أسمائه الحسنى التي وردت مقترنة في كتاب الله «القرآن الكريم»... أسأله سبحانه أن يلهمني شكرها كما يحب ويرضى...

منذ صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب في رمضان ١٤٣٤هـ أغسطس ٢٠١٣م وأنا لا أفارق دراسة أسماء الله الحسنى... واجتهد في قراءة كل ما تقع عليه يدي مما يتعلق بهذا العلم الذي هو أشرف العلوم على الإطلاق.. وجمعت ولله الحمد والمنة أوراقاً لا بأس بها سوف تصدر مستقبلاً بعد الانتهاء من هذه الطبعة الثانية إن شاء الله تعالى.

وفي بيان أهمية هذا العلم وخطورة إنكار شيء من أسماء الله الحسنى أو صفاته يقول شيخ الإسلام ابن القيم في مفتاح دار السعادة:

لا يستقر للعبد قدم في المعرفة، بل ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه فالإيمان بالصفات وتعريفها هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمرة شجرة الإحسان، فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان وثمرة شجرة الإحسان فضلاً عن أن يكون من أهل العرفان.

ولما كان أحب الأشياء إليه حمده ومدحه والثناء عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله كان إنكارها وجحدها أعظم، والكفر.

والمقصود أن التعطيل مبدأ الشرك وأساسه فلا تجد معطلاً إلا وشركه على حسب تعطيله فمستقل ومستكثر» انتهى.

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

الإيمان بالله يتضمن أربعة أشياء:

الأول: الإيمان بوجوده.

الثاني: الإيمان بربوبيته.

الثالث: الإيمان بألوهيته.

الرابع: الإيمان بالأسماء والصفات: قال ـ عز وجل ـ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ وصفاته كذلك عليا ليس فيها صفة نقص، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ أي الوصف الأعلى، وقوله صلى الله عليه وسلم: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**» (متفق عليه).

فالمعنى أن من الأسماء تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، ومعنى «أحصاها» أي: عرفها لفظاً، وعرفها معنى، وتعبد لله بمقتضاها، وليس المراد أن تحفظها فقط، بل لا بد من حفظ اللفظ وفهم المعنى، والتعبد لله بمقتضاها، فمثلاً: إذا علمت أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ غفور فتعرّض للمغفرة، لا تقل: الله غفور، وتفعل الذنب متى شئت، بل تعرّض للمغرفة واستغفر الله تجد الله غفوراً رحيماً، وإذا علمت أن الله عزيز فتتعبد الله بمقتضى هذا وتخاف منه وتحذر، وهلم جرا. (انتهى)

وقد يسأل أحدهم ما هي الأسماء الحسنى التي يجب على العبد معرفتها؟ وما هو الواجب على العبد تجاه هذا العلم؟

والإجابة أن للعبد عمر محدود قصير في هذه الحياة الدنيا فينبغي عليه أن يستثمره فيما يرجع عليه بأعظم المنافع يوم القيامة.. ولا شيء أنفع من معرفة الله عز وجل بالطريقة التي يريدها الله وبيّنها رسول الله ﷺ، وبأسمائه الحسنى التي ذكرها في كتابه وأوحى بها إلى رسول الله ﷺ في سنته الصحيحة..

فإن الغاية من معرفة الله الحسنى ليست دعاء المسألة فحسب.. بل الدعاء عامة.. ودعاء العبادة أعظم من دعاء المسألة.. فقولك «سبحان الملك القدوس»، دعاء... وقولك: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث دعاء»... بل من أعظم الدعاء.

إن معرفة الأسماء الحسنى الثابتة لله عز وجل... وتدبر معانيها يورث علماً وإيماناً لا يتحصل من العلوم الأخرى.

وختاماً.. فإن كاتب هذه السطور يسأل الله الرؤوف الرحيم أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينتفع به المسلمون عامة.. وأن يكون له ذخراً بعد موته.. ولا تنس أخي القارئ أن تدعو لكاتب هذه الكلمات بالثبات على الحق قبل الموت والمغفرة والرحمة بعد الموت... والحمد لله رب العالمين.

د. أمير علي الحداد

رمضان ١٤٣٦هـ. يوليو ٢٠١٥م

الكويت

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن شرف أي علم إنما يكون بشرف المعلوم، ولذلك كان أجلّ العلوم وأشرفها ما تعلّق برب العزة سبحانه وتعالى، فإن معرفة الله عز وجل هي أسمى غاية تفنى بها الأعمار، وأجلّ هدف تبذل في سبيله المهج.

ولا سبيل لمعرفة الله عز وجل إلا كما أراد هو سبحانه.. ولذلك كانت أعظم نعمة أنعم الله بها علينا، أن أنزل علينا كلامه، وتعهّد بحفظه إلى يوم القيامة.. فالقرآن العظيم هو كلام الله عز وجل، تكلّم به حقيقة.. وأنزله على أشرف خلقه محمد ﷺ يتلوه علينا... ويبيّنه لنا.. فمن تمسّك بهذا الكتاب فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها..

ومن الإيمان بالله ـ الذي هو الركن الأول من أركان الإيمان ـ أن نؤمن بأسمائه وصفاته.. ولا يكاد المتدبّر يقرأ صفحة من كتاب الله إلا ويجد أسماء وصفات لله عز وجل.. يأتي معظمها في خواتيم آيات الكتاب.. يقول الشيخ السعدي:

«عليك بتتبعها ـ الأسماء الحسنى ـ في جميع الآيات المختومة بها،

تجدها في غاية المناسبة، وتدلك على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته، ومرتبط بها، وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجلِّ المعارف وأشرف العلوم».

وفي شرح حديث النبي ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً، مئة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة**» متفق عليه.

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: «إن الإحصاء أو الحفظ لا ينبغي حمله على مجرد الحفظ للألفاظ غيباً، ولكن يحمل على أحصى معانيها، وحفظها من التحريف فيها، والتبديل والتعطيل، وحاول التخلّق بحسن صفاتها؛ كالحلم، والعفو، والرأفة، والرحمة، والكرم، ونحو ذلك، والحذر من الجبار، والقهّار، ومراقبة، مثل: الحسيب، الرقيب، وكذلك التعرّض لمثل: التواب، والغفور بالتوبة وطلب المغفرة، والرزَّاق بطلب الرزق ونحو ذلك».

يقول ابن القيم رحمه الله: «فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه ـ كما ينبغي ـ أحصى جميع العلوم، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها».

ويذكر ابن القيم مراتب إحصاء الأسماء الحسنى ـ «وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح ـ ثلاث مراتب: المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها، والمرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها، والمرتبة الثالثة: دعاؤه بها، وهو مرتبتان؛ إحداهما: دعاء ثناء وعبادة، والثانية:

دعاء طلب ومسألة، فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وكذلك لا يُسأل إلا بها».

ونقل القرطبي عن ابن العربي عند قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ (الأعراف: ١٨٠).

«أي أطلبوا منه بأسمائه فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحمن ارحمني، يا رزاق ارزقني، يا توّاب تُبْ عليَّ، وهكذا رتِّب دعاءك تكن من المخلصين».

والمتدبّر لخواتيم آيات الكتاب العزيز، يلحظ أن الأسماء الحسنى كثيراً ما تَرِدُ مقترنة.. وفي ذلك حكمة عظيمة، يقول ابن القيم في بدائع الفوائد: «من صفات الله سبحانه وتعالى، صفة تحصل من اقتران اسمين أو وصفين، وفي ذلك قدر زائد على مفرديهما نحو «الغني الحميد»، و«العفو القدير»، و«الحميد المجيد»، وكذا عامة الصفات والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن «الغِنى» صفة كمال، و«الحَمد» صفة كمال.. واجتماع الغِنى مع الحَمد كمال آخر، فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذا «العفوّ القدير»، و«الحميد المجيد»، و«العزيز الحكيم»، فتأمله فإنه من أشرف المعارف».

وقبل الشروع في تدبُّر ما جاء مقترناً من أسماء الله الحسنى في كتابه العزيز، يجب أن نبيِّن القواعد والشروط التي نستطيع من خلالها معرفة الأسماء الحسنى.. وذلك أن العلماء الذين أحصوا أسماء الله الحسنى، لم يتفقوا عليها جميعاً، بل أثبت بعضهم أسماء أسقطها آخرون.

وفي هذه الدراسة، اعتمدت القواعد التي أصلها الأستاذ الدكتور الشيخ محمد عبدالرازق الرضواني في دراسته القيِّمة «أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنَّة» لحصر الأسماء الحسنى، ونفي ما ليس منها، وهذه القواعد هي:

١ ـ ثبوت الاسم في كتاب الله أو السنَّة الصحيحة.

٢ ـ أن يكون الاسم عَلَماً وفق قواعد اللغة العربية التي أُنزل بها كتاب الله عز وجل، وتتحقق العَلَمَيَّة بشروط خمسة:

أ ـ الألف واللام: ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥﴾ (يس).

ب ـ التنوين: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥﴾ (سبأ).

جـ ـ دخول حرف الجر: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨﴾ (الفرقان).

د ـ ياء النداء: «يا حي يا قيوم» (أبو داوود : الألباني).

هـ ـ يكون المعنى مسنداً إليه محمولاً عليه.. ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا ٥٩﴾ (الفرقان).

٣ ـ غير مقيَّد بزمنٍ معينٍ أو فئة معيَّنة (يكون مطلقاً).

٤ ـ أن يدلَّ على صفة (أي اسم على مسمَّى).

٥ ـ أن يكون في غاية الجمال والكمال والحُسن.

وبعد اعتماد هذه القواعد تكون الأسماء الحسنى التي وردت في كتاب الله عز وجل هي:

١ – الرحمن ٢ – الرحيم ٣ – الملك ٤ – القدوس ٥ – السلام
٦ – المؤمن ٧ – المهيمن ٨ – العزيز ٩ – الجبار ١٠ – المتكبر
١١ – الخالق ١٢ – البارئ ١٣ – المُصوِّر ١٤ – الأول ١٥ – الآخر
١٦ – الظاهر ١٧ – الباطن ١٨ – السميع ١٩ – البصير ٢٠ – المولى
٢١ – النصير ٢٢ – العفوّ ٢٣ – القدير ٢٤ – اللطيف ٢٥ – الخبير
٢٦ – الكبير ٢٧ – المتعال ٢٨ – الواحد ٢٩ – القهّار ٣٠ – الحق
٣١ – المبين ٣٢ – القوي ٣٣ – المتين ٣٤ – الحي ٣٥ – القيّوم
٣٦ – العلي ٣٧ – العظيم ٣٨ – الشكور ٣٩ – الحليم ٤٠ – الواسع
٤١ – العليم ٤٢ – التواب ٤٣ – الحكيم ٤٤ – الغني ٤٥ – الكريم
٤٦ – الأحد ٤٧ – الصمد ٤٨ – القريب ٤٩ – المجيب ٥٠ – الغفور
٥١ – الودود ٥٢ – الولي ٥٣ – الحميد ٥٤ – الحفيظ ٥٥ – المجيد
٥٦ – الفتاح ٥٧ – الشهيد ٥٨ – المليك ٥٩ – المقتدر ٦٠ – القاهر
٦١ – الشاكر ٦٢ – القادر ٦٣ – الخلاّق ٦٤ – المالك ٦٥ – الرزاق
٦٦ – الوكيل ٦٧ – الرقيب ٦٨ – الحسيب ٦٩ – المُقيت ٧٠ – الأكرم
٧١ – البَرُّ ٧٢ – الغفار ٧٣ – الرؤوف ٧٤ – الوهّاب ٧٥ – الوارث
٧٦ – الربُّ ٧٧ – الأعلى ٧٨ – الإله.

بعض هذه الأسماء الحسنى ورد مرّة واحدة في كتاب الله عز وجل، ولم يقترن بأي اسم آخر، وبعضها اقترن بإسم واحد، وبعضها اقترن بأكثر من ذلك.. وحيث أن الغاية من هذا البحث بيان الكمال والجمال والحكمة من اقتران الأسماء الحسنى، لذا سوف نقتصر على ما اقترن من الأسماء الحسنى، مع البيان اللغوي وأقوال علماء التفسير...

والأسماء الحسنى التي اقترنت بإسم واحد هي:

الرحمن الرحيم	الرؤوف الرحيم	المولى النصير
الإله الواحد	اللطيف الخبير	الحميد المجيد
الخبير البصير	الكبير المتعال	الحي القيوم
الرحيم الودود	الولي الحميد	الشاكر العليم
القوي العزيز	القريب المجيب	الشكور الحليم
البر الرحيم	الفتاح العليم	المليك المقتدر
الخلاّق العليم		

وبقية الأسماء الحسنى التي وردت في كتاب الله عز جل، اقترنت بأكثر من اسم، وهنا نذكر بعض الملاحظات فيما اقترن من الأسماء الحسنى..

الأسماء التي اقترنت ببعضها أتت مرتَّبة، وينبغي المحافظة على هذا الترتيب، بمعنى أن «الرحمن» اقترن بـ«الرحيم» فقط، وكان دائماً هو

الاسم الأول فأتى في كتاب الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢﴾ ولم يرد: (الرحيم الرحمن)، لذا وجب الالتزام بهذا الترتيب؛ لأنه المراد من اقتران هذين الاسمين لله عز وجل، وكذلك ﴿ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ لم يرد: (الخبير اللطيف)، و﴿ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾، لم يرد (العزيز القوي)، و﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤﴾، و﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾، و﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾، و﴿ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾، و﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣﴾، و﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾.

وهكذا في جميع الأسماء المقترنة.. تعطي كمالاً جديداً وجمالاً جديداً نتيجة الاقتران بين اسمين من الأسماء الحسنى..

ونشير إلى الآيات التي ورد فيها أكثر من اسمين من أسماء الله الحسنى... وهي الآية الثالثة من سورة الحديد:

﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾.

والآيات من سورة الحشر:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾.

والآيات من سورة الجمعة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾.

في هذه الآيات، يعرِّفنا الله عز وجل ببعض أسمائه الحسنى، ومعظم الأسماء الواردة في هذه الآيات لم ترد في غيرها من آيات الكتاب، فينبغي أن نؤمن بهذه الأسماء، ونعرف معناها، فالله عز وجل هو الأول الذي لا شيء قبله، والله عز وجل هو الآخر الذي لا شيء بعده، والله عز وجل هو الظاهر فلا شيء فوقه، والله عز وجل هو الباطن فلا شيء دونه... والله عز وجل هو الملك.. والله عز وجل هو القدوس، والله عز وجل هو السلام.. والله عز وجل هو المؤمن، والله عز وجل هو المهيمن، والله عز وجل هو المتكبر، والله عز وجل هو الخالق، والله عز وجل هو البارئ، والله عز وجل هو المصوِّر... ولا تجد معظم هذه الأسماء في آية أخرى من كتاب الله عز وجل.

وينبغي الإشارة إلى أن طريقة إحصاء عدد مرات ورود الاسم في كتاب الله في هذه الدراسة هي العدد الذي ورد به اسم الله بكل تصريفاته، فاسم الله (العليم).. أحصينا مرات وروده في كتاب الله حيث ورد «العليم»، «عليم»، «عليماً»، «لعليم».

وهكذا «الحكيم»، «حكيم»، «حكيماً»، و«الخبير» «خبير»، «خبيراً» و«لخبير».

وبهذه الطريقة في الإحصاء كان اسم الله (العليم) هو أكثر الأسماء وروداً في كتاب الله، حيث ورد مئة وأربعاً وخمسين (١٥٤) مرة، واقترن بأحد عشر اسماً من الأسماء الحسنى، أتى بعضها قبله: السميع، الحكيم، العزيز، الشاكر، الحفيظ، الفتاح، الواسع، الخلاَّق، وأتى بعضها بعده الخبير، الحليم، القدير، الحكيم.

وعند إحصاء ما اقترن من الأسماء الحسني في كتاب الله فإن أكثر

الأسماء المقترنة وروداً هما (**الغفور الرحيم**) حيث اقترن هذان الاسمان إحدى وسبعين (٧١) مرة ثم (**العزيز الحكيم**) سبعاً وأربعين (٤٧) مرة، ثم (**العليم الحكيم**) تسعاً وعشرين (٢٩) مرة ثم (**العزيز الرحيم**) ثلاث عشرة (١٣) مرة... فسبحانه الذي جعل أكثر أسمائه المقترنة وروداً في القرآن (**الغفور الرحيم**).

و«العزيز» دائماً يكون أولاً عدا مع القوي فقد أتى بعده، فهو سبحانه (القوي العزيز).

أما ترتيب ورود ما اقترن من الأسماء الحسنى في هذه الدراسة، فقد بدأنا بما بدأ الله به.. فأول اسم من الأسماء الحسنى ورد في كتاب الله عز وجل هو (الرحمن)، واقترن به الرحيم... (**الرحمن الرحيم**)، في أول آية من سورة الفاتحة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾.. فبدأت الدراسة بـ(الرحمن الرحيم).

ثم رتبنا الأسماء الحسنى وفق الترتيب الهجائي للاسم الأول، ونذكر كل ما اقترن به من الأسماء الحسنى.. فإذا أراد القارئ الوصول إلى الاسم، عليه اتباع الترتيب الهجائي للاسم الأول. فمثلاً أوردنا كل ما اقترن مع العزيز، ثم ذكر العزيز أيضاً مع القوي عندما كان ثانيا.

كما ينبغي التنبيه إلى أن الله عز وجل إذا ختم آية باسمين من أسمائه الحسنى، فإنه يذكر الاسمين المناسبين لموضوع الآية، ويأتي ترتيبهما ليناسب ما ذكره عز وجل في الآية الكريمة.. كما في قوله عز وجل: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ

﴿ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾، فهو سبحانه عز فحكم، فأمر بقطع اليد.. وهكذا لو تدبرنا موضوع الآية، أدركنا سبب ورود الاسمين في نهايتها وعلة ترتيبهما.

ولا شك أن الآيات التي تنتهي بـ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ تختلف عن الآيات التي تنتهي بـ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

إن كتب التفسير التي اعتمدت في هذه الدراسة هي: أضواء في تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطي، وتفسير السعدي، وتفسير الطبري. وكتب اللغة التي استخدمت هي: لسان العرب، وتاج العروس.

بعد هذا المدخل المختصر للدراسة، يجب التنبيه إلى احتمال ورود خطأ في مكان ما في هذه الدراسة، لذا فإن الكاتب يتراجع عن أي خطأ في عدد الأسماء أو إحصائها، فإن منهجه ما جاء في كتاب الله وسنة الرسول ﷺ الصحيحة.

اللّهَ أسأل أن يتقبَّل هذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه، وأن يجزي خيراً من كان سبباً في بدأ هذا البحث، ومن أعان على إتمامه، وأن ينفع به العبد الفقير بعد موته.

والحمد لله رب العالمين

أمير علي الحداد

الكويت

رمضان ١٤٣٤هـ / أغسطس ٢٠١٣م

www.prof-alhadad.com

الرحمن الرحيم

باستثناء البسملة في بدايات السور، عدا الفاتحة، ورد اسم الله (الرحمن) في سبعة وخمسين (٥٧) موضعاً من كتاب الله العزيز، خمساً وأربعين (٤٥) مرة (الرحمن)، وتسع (٩) مرات (للرحمن)، وثلاث (٣) مرات (بالرحمن)، وسورة مريم ورد فيها اسم (الرحمن)... ست عشرة (١٦) مرة.

اقترن (الرحمن) بـ(الرحيم) في ستة (٦) مواضع.. ولم يقترن بغيره من الأسماء الحسنى، وكان دائماً الأول من الاسمين ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، لذا وجب الالتزام بهذا الترتيب.

الآيات التي ورد فيها (الرحمن الرحيم):

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ (الفاتحة).

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ (الفاتحة)،

﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ (البقرة).

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾ (النمل)،

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ (فصلت).

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢﴾ (الحشر).

في التفسير:

ذهب الجمهور إلى أن (الرحمن) مشتق من الرحمة، مبني على المبالغة، ومعناه رحمة لا نظير له فيها، ولهذا لا يُثنَّى ولا يجمع.

قال الشيخ ابن عثيمين: (الرحمن) ذو الرحمة الواسعة لأن (فعلان) في اللغة تدل على السعة والامتلاء.

في اللغة:

(الرحمن)

ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة، ولا يجوز أن يقال (رحمن) إلا لله عز وجل، و(فَعْلان) من أبنية ما يبالغ في وصفه بالرحمة، و(رحمن) أبلغ من (رحيم).

(الرحيم)

ورد (الرحيم) مئة وثلاث عشرة (١١٣) مرة في كتاب الله العزيز..

اقترن بـ(الغفور) إحدى وسبعين (٧١) مرة: (**الغفور الرحيم**).

وهما أكثر الأسماء المقترنة وروداً في كتاب الله:

واقترن بـ(العزيز) ثلاث عشرة (١٣) مرة: (**العزيز الرحيم**).

واقترن بـ(التواب) تسع (٩) مرات: (**التواب الرحيم**).

واقترن بـ(الرؤوف) ثمان (٨) مرات: (**الرؤوف الرحيم**).

واقترن بـ(الرحمن) ست (٦) مرات: (**الرحمن الرحيم**).

واقترن بـ(الرب) مرة واحدة: (**رب رحيم**).

واقترن بـ(البر) مرة واحدة: (**البر الرحيم**).

واقترن بـ(الودود) مرة واحدة: (**رحيم ودود**)

وورد منفرداً ثلاث مرات (**رحيماً**).

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله (**الرحيم**):

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ (الأنعام).

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ (البقرة).

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ (النور).

﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ (يس).

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ (الطور).

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ (هود).

يلاحظ أن (الرحيم) يأتي معظم الأحيان ثانياً، ويسبقه الاسم الذي يقترن به... (الغفور الرحيم)، (العزيز الرحيم)، (التواب الرحيم)، (رؤوف رحيم)، (الرحمن الرحيم)، (رب رحيم)، (البر الرحيم).

واستثنى من ذلك (**الرحيم الغفور**) و(**الرحيم الودود**).

(**الرحيم**): على وزن فعيل بمعنى فاعل أي (راحم)، وبناء فعيل للمبالغة، و(الرحمة) الرقة والتعطف والمرحمة مثله.

(الرحمن الرحيم):

جاء اقتران الاسمين لبيان مزيد كمال الله سبحانه وتعالى.. فوق على ما يدل عليه كمال كل اسم منفرداً.. يقول ابن القيم: (وأما الجمع بين «الرحمن» و«الرحيم» ففيه معنى: هو أحسن من المعنيين منفردين، وهو أن «الرحمن» دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته).[1]

وفائدة الجمع بين الاسمين (**الرحمن الرحيم**) للإخبار عن رحمة عاجلة وآجلة وخاصة وعامة.[2]

قال الفارابي[3]: جيء بالرحيم بعد استغراق الرحمن معنى الرحمة لتخصيص المؤمنين به.. ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ (الأحزاب).

فالمؤمنون.. يتعلقون في الآخرة برحمة الله.. فقد اختصهم الرحمن برحمة لا حدود لها.. وتفضل عليهم الرحيم برحمة خاصة بهم.. فسوف يدخلون الجنة في الآخرة بفضل من (الرحمن الرحيم).

وينبغي أن يتعلق العبد بدعاء (الرحمن الرحيم) وخاصة في آخر عمره فلا يأتيه أجله إلا وهو يحسن الظن بـ (الرحمن الرحيم) ويقبل على الله راجياً رحمته سبحانه فهو (الرحمن الرحيم).

---

(١) بدائع الفرائد ٢٠٤/١.

(٢) أسماء الله الحسنى.

(٣) لسان العرب، ابن منظور (مادة رحم) ٣٣١/١٢ - ٣٣٠.

إله واحد

ورد اسم (الإله) لله عز وجل في آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل واقترن الإسمان (**إله واحد**) في إحدى عشرة آية (١١) من كتاب الله هي:

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ (البقرة).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ۚ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ (النساء).

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ (المائدة).

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ (الأنعام).

﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ (إبراهيم).

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (النحل).

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾ (النحل).

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الكهف).

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (الأنبياء).

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الحج).

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (فصلت).

في التفسير:

يقول السعدي: (يخبر تعالى أنه «إله واحد» متوحد منفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.. فهو المستحق أن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة ولا يشرك به أحد من خلقه...).

لو تدبرنا الآيات التي اقترن فيها هذا الاسمان من الأسماء الحسنى..

لتبين لنا أنه في أربع آيات يبين الله عز وجل أنه (**واحد**) مقابل من يقول (**ثالث ثلاثة**) أو (**آلهة أخرى**). وفي أربع آيات أخرى يبين الله عز وجل بصيغة الحصر (**إنما هو إله واحد**). وفي ثلاث آيات يذكر وحدانيته أنها صفته الأولى سبحانه.

في اللغة:

«إله» يأله إذا تحير في ذات الرب عز وجل. وقالوا أصل «إله» ولاه فقلبت الواو همزة أي أن الخلق يولهون إليه في حوائجهم ويضرعون إليه فيما يصيبهم ويفزعون إليه فيما ينوبهم، كما يوله كل طفل إلى أمه.

وقيل «أله» عبد.. «إله» معبود.. وجمعه آلهة..

وبيَّن الله وحدانيته بالأدلة العقلية والكونية في آيات كثيرة من كتابه عز وجل.

فائدة اقتران اسم الله (إله) باسم الله (واحد).

لا شك أن اقتران الاسمين يبين أهمية توحيد الألوهية لله عز وجل فهي الغاية التي أرسلت من أجلها الرسل وأنزلت لتحقيقها الكتب: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ (الأنبياء) فهي دعوة الرسل جميعاً.

إن سبيل النجاة من عذاب جهنم يوم القيامة أن يعبد العبد (**إلهاً واحداً**) هو الله عز وجل من حقق ذلك نجا من العذاب ومن أشرك به خلد في نار جهنم أبداً... نسأل الله العافية.

البرّ الرحيم

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ (الطور).

ورد اسم (البَـرّ) لله عز وجل مرة واحدة في كتاب الله، واقترن بـ(الرحيم)، و(البَرّ) اسم فاعل للموصوف بالبر، مثل «البارّ»، ولكن «البارّ» ليس من الأسماء الحسنى، و(البَرّ) في حق الله عز وجل هو الواسع الإحسان والرحمة، فمن (بِرّه) سبحانه بعباده أن جزاهم على دعائهم في الدنيا أن وقاهم العذاب يوم القيامة، وأدخلهم الجنة برحمته.. فهو ﴿الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾.

ومن معاني (البِرّ).. الصدق.. والطاعة.. والقبول..

(الرحيم) سبق بيانه.

في التفسير:

يذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: فقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ يشمل دعاء العبادة كالصلاة، والصدقة، والصيام، والحج، وبر الوالدين وصلة الأرحام، كل هذا دعاء، وإن كان هو عبادة، فلو سألت الداعي لماذا تعبد الله، ولو سألت العابد لماذا تعبد الله؟ لقال: أرجو رحمته وأخاف عذابه، فتكون هذه العبادة بمعنى الدعاء، كذلك ندعوه دعاء مسألة، لا يسألون غير الله ولا يلجئون إلا إلى الله، لأنهم يعلمون أنهم مفتقرون إليه، وأنه هو القادر على كل شيء ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ (البر) بمعنى

الواسع الإحسان والرحمة، ومن ذلك البريِّة، للمكان الخالي من الأبنية، فالمعنى أنه جل وعلا واسع الإحسان والعطاء والجود (الرحيم) أي ذو الرحمة البالغة، يرحم بها من يشاء من عباده تبارك وتعالى.

أخرج عبدالرزاق وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة أنها قرأت هذه الآية ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ فقالت: اللهم منَّ علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم وذلك في الصلاة.

وفي اللغة:

أَصل الكلمة ومادّتها ـ (ب ر ر) ـ موضوعة (لخلاف البحر)، وتُصوّر منه التوسّع، فاشتُقّ منه البِرّ أي التوسّع في فعل الخير. وينسب ذلك تارة إلى الله تعالى في نحو ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾، وإلى العبد تارة، فيقال: برّ العبدُ ربّه، أَي توسّع في طاعته. فمِنَ الله تعالى الثواب ومن العبد الطاعة. وذلك ضربان: ضرب في الاعتقاد، وضرب في الأعمال. وقد اشتمل عليهما قولُه تعالى ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ الآية (وعلى هذا ما روى أَنه ﷺ سئل عن البرّ فتلا هذه الآية) فإن الآية متضمّنة للاعتقاد، ولأعمال الفرائض، والنَّوافل. وبِرّ الوالدين: التَّوسُّع في الإحسان إليهما. ويستعمل البِرّ في الصدق لكونه بعض الخير. ويقال: برّ في قوله، وفي يمينه، وحَجّ مبرورُ: مقبول. وجمع البارّ أبرار. وخصّ الملائكة بالبَرَرة من حيث إنَّه أَبلغ من الأَبرار؛ فإنه جمع بَرّ. والأَبرار جمع بَارٍّ، وبرٌّ أَبلغ من بارّ؛ كما أَنَّ عَدْلاً أَبلغ من عادل.

إن المتدبر لهذه الآيات يتبين له أن الله عزوجل ذكر منَّته على عباده المؤمنين بالنجاة من عذاب السموم بين حالين لهم... الحال الأولى.. ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾... والثانية: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾... وهذه تبين أحوالهم الباطنة والظاهرة... خوف من عذاب الله... ترجموه إلى إخلاص في العبادة... فنالوا من الله عزوجل أن مَنّ عليهم بوقايتهم من العذاب.

(البَرّ الرحيم): إن اقتران اسم الله (البَرّ) باسم الله (الرحيم) يبعث في العبد الطمأنينة أن طاعاته في الدنيا لن تذهب سدى لأن (البر) سبحانه.. واسع الإحسان صادق الوعد كثير العطاء... ومع ذلك (رحيم)... بل رحمته تسبق عذابه... فلا شك أن (البر الرحيم) سيثيب عبده المؤمن أعظم الثواب بأن يسبغ عليه رضاه ويدخله الجنة..

التواب الحكيم

(التواب).. ورد في كتاب الله عز وجل إحدى عشرة (١١) مرة، اقترن بـ(الرحيم) تسع (٩) مرات، وبـ(الحكيم) مرة واحدة، وأتى منفرداً مرة واحدة.

وورد اسم الله (الحكيم) في كتاب الله عز وجل إحدى وتسعين (٩١) مرة، واقترن بـ(العزيز) سبعاً وأربعين (٤٧) مرة، وبـ(العليم) ستاً وثلاثين (٣٦) مرة (تسعاً وعشرين عليم حكيم، وسبع مرات حكيم عليم)، وبـ(الخبير) أربع (٤) مرات، وبـ(الواسع)، وبـ(التواب)، وبـ(الحميد)، وبـ(العلي) مرة واحدة لكل اسم من هذه الأسماء الحسنى.

والآية التي اقترن بها (التواب) بـ(الحكيم) هي...:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ (النور).

في بيان حكم الله في المتلاعِنَيْن...

(**التوبة**): الرجوع من الذنب والتوب مثله... وفي حق الله عز وجل قبول العبد إذا رجع عن الذنب وأقبل على الله.

(**التواب**): في حق الله.. كثير قبول توبة العبد.. وباب التوبة مفتوح للعبد مهما كان الذنب.. وإن كان كفراً بالله.. حتى يغرغر وتبدأ روحه بالخروج من بدنه.

جاء في تفسير السعدي: (وجواب الشرط محذوف يدل عليه سياق الكلام أي: لأحل بأحد المتلاعِنَين الكاذب منهما ما دعا به على

نفسه...)، ولكنه سبحانه يستر عباده حكيم فيما شرع لهم مع بيان فظاعة هذا الأمر...

وفي (**الظلال**): وقد يقول قائل: أليس الله سبحانه يعلم أن هذه الحالة قد تعترض التشريع العام للقذف؛ فلماذا لم ينزل الله الاستثناء إلا بعد ذلك الموقف المحرج؟

والجواب: بلى إنه سبحانه يعلم. ولكن حكمته تقتضي أن ينزل التشريع عند الشعور بالحاجة إليه، فتستقبله نفوس الناس باللهفة إليه، وإدراك ما فيه من حكمة ورحمة. ومن ثم عقب بقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

ونقف قليلاً أمام هذه الواقعة، فهذا حكم ينزل بعقوبة القذف، فيشق على هذه النفوس. يشق عليها حتى ليسأل سعد ابن عباده رسول الله ﷺ أهكذا أنزلت يا رسول الله؟ يسأل هذا السؤال وهو مستيقن أنها هكذا أنزلت. ولكنه يعبر بهذا السؤال عن المشقة التي يجدها في نفسه من الخضوع لهذا الحكم في حالة معينة في فراشه، وهو يعبر عن مرارة هذا التصور بقوله: والله يا رسول الله إني لأعلم أنها لحق، وأنها من الله؛ ولكني قد تعجبت أني لو وجدت لكاعاً قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء؟ فوالله إني لا آتي بهم حتى يكون قد قضى حاجته!

وما يلبث هذا التصور المرير الذي لا يطيقه سعد بن عباده في خياله. ما يلبث أن يتحقق.. فهذا رجل يرى بعينيه ويسمع بأذنيه، ولكنه يجد نفسه

محجوزاً بحاجز القرآن؛ فيغلب مشاعره، ويغلب وراثاته، ويغلب منطق البيئة العربية العنيف العميق؛ ويكبح غليان دمه، وفوران شعوره، واندفاع أعصابه.. ويربط على هذا كله في انتظار حكم الله وحكم رسول الله ﷺ وهو جهد شاق مرهق؛ ولكن التربية الإسلامية أعدت النفوس لاحتماله كي لا يكون حكمٌ إلا الله، في ذات الأنفس وفي شؤون الحياة.

إن اقتران اسم الله (**التواب**) باسم الله (**الحكيم**) فيه حث للمؤمنين على الثقة بأحكام الله عز وجل بأن جعل باب التوبة مفتوحاً.

هذا الاقتران يذلل للعصاة سبيل الرجوع إلى الله والصدق معه سبحانه، ويقوم مسلكهم مع الله عز وجل مع الثقة التامة بما ينزل من أحكام الله في كل شيء.

التواب الرحيم

اقترن اسم الله (التواب) باسم الله (الرحيم) في تسع آيات من كتاب الله عزوجل... والآيات هي...

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ (البقرة).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ (البقرة).

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ (البقرة).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ (البقرة).

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ (التوبة).

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ (التوبة).

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾ (النساء).

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ (النساء).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ (الحجرات).

ومما ورد في كتب التفسير:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ مبالغ في قبول التوبة، وإفاضة الرحمة، حيث جعل التائب كمَن لا ذنب له، ولم يخص تائباً دون تائب، بل يعم الجميع، وإن كثرت ذنوبه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ أي: من شأنه قبول توبة التائبين، والمتفضل عليهم بجوده وإحسانه.

وعن ابن عمر: كنا نَعُدّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة. «رب اغفر لي، وتب عليّ، إنك أنت التوّاب الرحيم» (صحيح، الألباني). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾ تأكيد لقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ وتبشير لهم بأن الله هو التواب الرحيم.

والمقصود ترغيب من لم يتب في التوبة، وترغيب كل العصاة في الطاعة فبشر الله تعالى هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم.

ثم زاده تأكيداً بقوله: ﴿هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

والتوبة مرحلتان: توفيق من الله للعبد، أن يتوب، وقبول من الله لتوبة العبد... «ومن تاب تاب الله عليه» (مسلم).

يقول الطبري.. «وأما قوله (الرحيم) فإنه يعني أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة ورحمته إياه إقالة عثرته وصفحه عن عقوبة جرمه».[1]

قال أبو السعود: (وفي الجمع بين الاسمين وعد بليغ للتائب بالإحسان مع العفو والغفران).[2]

إن اقتران اسم الله (التواب) باسم الله (الرحيم) فيه تحبب إلى العباد.. وترفق بهم وخاصة المذنبين منهم.. وفتحُ بابٍ للمسرفين للإقبال على من صفته أنه كثير التوبة مهما عظمت الذنوب أو كثرت.. وتوبته على عباده مقرونة بالرحمة... فهلم أيها المذنبون إلى باب (التواب الرحيم).. لو كان (توّاباً) فقط لكفى.. ولو كان رحيماً فقط لكفى.. ولكنه يدعونا للرجوع إليه راغبين إليه لأنه (التواب الرحيم).

(١) جامع البيان (١/١٩٥).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٩٢).

الحق المبين

ورد اسم الله (الحق) سبع (٧) مرات في كتاب الله، واقترن بـ(الملك) مرتين، وبـ(المبين) مرة واحدة، وانفرد في الباقي.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ (النور).

في التفسير:

ويعلمون في ذلك الموقف العظيم أن الله هو ﴿ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ فيعلمون انحصار الحق المبين في الله تعالى.

ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب ويزول حينئذ الشك عن أهل النفاق الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون.

﴿ٱلْحَقُّ﴾ من أسماء الله الحسنى، ولما وصف بالمصدر زيد وصف المصدر بـ﴿ ٱلْمُبِينُ ﴾. والمبين: اسم فاعل من أبان الذي يستعمل متعدياً بمعنى أظهر على أصل معنى الهمزة المتعدية، ويستعمل بمعنى بان، أي ظهر على اعتبار الهمزة زائدة.

﴿ٱلْحَقُّ﴾ بالمعنى الاسمى لله تعالى فالحصر حقيقي إذ ليس اسم الحق مسمى به غير ذات الله تعالى، أن الله هو صاحب هذا الاسم كقوله تعالى ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ (مريم). وعلى هذا الوجه يجري الكلام في وصفه تعالى بـ﴿ ٱلْمُبِينُ ﴾.

ومعنى كونهم يعلمون أن الله هو الحق المبين: أنهم يتحققون ذلك يومئذ بعلم قطعي لا يقبل الخفاء ولا التردد وإن كانوا عالمين ذلك من قبل لأن الكلام جار في موعظة المؤمنين، ولكن نزل علمهم المحتاج للنظر والمعرض للخفاء والغفلة منزلة عدم العلم.

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ وذلك أن عبدالله بن أُبي كان يشك في الدنيا، وكان رأس المنافقين فذلك قوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾، ويعلم ابن سلول ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ يريد انقطع الشك واستيقن، حيث لا ينفعه اليقين.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ﴾ يعني من قذف عائشة - رضي الله عنها - يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ ﴾ يعني في الآخرة ﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾ حسابهم العدل لا يظلمهم ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ فأوجز في ذلك وأشبع، وفصل وأجمل، وأكد وكرّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلاّ ما هو دونه في الفظاعة، وما ذاك إلا لأمر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يُسأل عن تفسير القرآن، حتى سئل عن هذه الآيات فقال: من أذنب ذنباً منه قبلت توبته إلاّ من خاض في أمر عائشة، وهذه منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك. ولقد برَّأ الله تعالى أربعة بأربعة: برأ يوسف بلسان الشاهد ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ (يوسف: ٢٦). وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه. وبرّأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها: ﴿**إني عبد الله**﴾. وبرَّأ عائشة بهذه

الآيات العظام في كتابه المعجز المتلوّ على وجه الدهر، مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات، فانظر، كم بينها وبين تبرئة أولئك؟ وما ذاك إلاّ لإظهار علوّ منزلة رسول الله ﷺ.

وفي اللغة:

(الحق) خلاف الباطل.. وأصل الحق المطابقة والموافقة والثبات وعدم الزوال.

(البين): في لغة العرب جاء على وجهين:

(البَين): الفرقة ويكون (الوصل): وهو من الأضداد.

و(بان الشيء): يبين بياناً اتضح فهو (بيّن).

وكذا أبان الشيء فهو (مبين).

و(البائن): الظاهر المبين.

(الحق المبين): الحق الواضح الظاهر الذي لا لبس فيه.

واقتران الاسمين (الحق المبين) يقيم الحجة على المرتابين والممترين والمنافقين الذين يشكون في الله ووعد الله وقدرة الله والجنة والنار.. كل ذلك ينبغي أن يزول لأن الله هو ﴿ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ الذي أقام الحجج البيِّنة والبراهين الساطعة على وجوده وأفعاله وصفاته وجزاءه سبحانه وتعالى... فمن شك بعد ذلك في ﴿ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ فلا يلومن إلا نفسه.

الحكيم الحميد

ورد اسم (الحكيم) لله عزوجل في القرآن إحدى وتسعين مرة واقترن بسبعة أسماء من الأسماء الحسنى هي...

(العزيز) سبعاً وأربعين مرة، (العليم) ستاً وثلاثين مرة و(الخبير) أربع مرات، و(الواسع) و(التواب) و(العلي) و(الحميد) مرة واحدة لكل اسم من هذه الأسماء الحسنى ويأتي الحكيم أول الإسمين أحياناً وثاني الأسمين أحياناً أخرى.. حسب المعنى ومقتضى الآية.

والآية التي اقترن فيها (الحكيم الحميد) هي قوله سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ (فصلت).

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ أي محمود على ما أسدى من النعم التي منها تنزيل الكتاب، وحمده سبحانه: بلسان الحال متحقق من كل منعم عليه وبلسان المقال متحقق ممن وفق لذلك.

ولكن ـ مع أنه حكيم ـ يدعو إلى كل خُلُق كريم، وينهى عن كل خُلق لئيم، أكثر الناس محرومون الاهتداء به، معرضون عن الإيمان والعمل به، إلا من وفقه الله تعالى وعصمه، وهم المحسنون في عبادة ربهم والمحسنون إلى الخلق.

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ يقول تعالى ذكره: هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده، وصرفهم فيما فيه مصالحهم، (حَمِيدٌ): محمود على نعمه عليهم.

إن اقتران (الحكيم الحميد) ثناء على الله لحكمته وحكمه أنزل القرآن الذي هو كلامه عز وجل تكلم به حقيقة فلا نعمة أعظم من هذا الكتاب وتكفل سبحانه بحفظه وأرسل رسوله محمداً (ﷺ) لبيانه وتلاوته فلا يحتاج الخلق بعد ذلك إلى شيء لمعرفة الحق من الباطل والهدى من الضلال... فإنه من عند (الحكيم الحميد).

الحكيم الخبير

ورد اسم الله (الخبير) خمساً وأربعين (٤٥) مرة في كتاب الله. واقترن أربع (٤) مرات بـ(الحكيم).

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ (الأنعام).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ (الأنعام).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ (سبأ).

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ (هود).

(**الحكيم**): من (الحكمة) أو (الحكم) وهو على وزن فعيل بمعنى فاعل (حاكم) فله سبحانه وتعالى (الحكم) المطلق وهو (الحكيم) ذو الحكمة المطلقة التي تليق بجلاله عز وجل، و(الحكمة) معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وإحسان دقائق الصنائع ووضع الأمور في أفضل مواضعها، و(الحكيم) يكون (حاكماً) أو (حكيماً) بما يقترن به من موضوع الآية.

(**الخبير**): المطلع على السرائر والضمائر وخفايا الأمور العليم بحقائق كل شيء.

في التفسير:

يبيِّن الله عز وجل أن القرآن كتاب فُصِّلت آياته، وبُيِّنت بياناً واضحاً لا لبس فيه، لأنه من عند (الحكيم الخبير)، امتلأ بالحكمة في كل آية، وكل حكم وكل تشريع، وذلك لأنه منزل من ﴿حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ لا يخفى عليه شيء من شؤون خلقه.

ثم قال: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾ أي: بالإحكام للأحكام، ﴿خَبِيرٍ ۝١﴾ بالتفصيل للحلال والحرام ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾، هذا هو التوحيد الذي أحكمه.

كأنه يقول تعالى: أحكمت آياته من لدن حكيم وفُصِّلت من لدن خبير عالم بكيفيات الأمور.

إن الصفات التي هي الكمالات حقيقتها هي القدرة والعلم فقوله ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ إشارة إلى كمال القدرة، وقوله ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ إشارة إلى كمال العلم. وقوله ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ يفيد الحصر ومعناه أنه لا موصوف بكمال القدرة وكمال العلم إلا الحق سبحانه وعند هذا يظهر أنه لا كامل إلا هو، وكل من سواه فهو ناقص.

﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٧٣﴾

ما ذكرَ سبحانه أحوال البعث في القيامة إلا وقرر فيه أصلين: أحدهما: كونه قادراً على كل شيء، والثاني: كونه عالماً بكل شيء فقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ﴾ يدل على كمال القدرة، وقوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِۚ﴾ يدل على كمال العلم فلا جرم لزم

من مجموعهما أن يكون قوله حقاً، وأن يكون حكمه صدقاً، وأن تكون قضاياه مبرأة عن الجور والعبث والباطل.

ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ والمراد من كونه حكيماً أن يكون مصيباً في أفعاله، ومن كونه خبيراً، كونه عالماً بحقائقها من غير اشتباه ومن غير التباس.

الحكمة هي العلم الذي يتصل به الفعل فإن من يعلم أمراً ولم يأت بما يناسب علمه لا يقال له حكيم، فالفاعل الذي فعله على وفق العلم هو الحكيم، والخبير هو الذي يعلم عواقب الأمور وبواطنها فقوله: ﴿حكيم﴾ أي في الابتداء يخلق كما ينبغي وخبير أي بالانتهاء يعلم ماذا يصدر من المخلوق وما لا يصدر إلى ماذا يكون مصير كل أحد فهو حكيم في الابتداء خبير في الانتهاء.

﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ الذي لا مرية فيه، ولا يقول شيئاً عبثا ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ أي: يوم القيامة، خصه بالذكر ـ مع أنه مالك كل شيء ـ لأنه تنقطع فيه الأملاك، فلا يبقى مَلك إلا الله الواحد القهار. ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣﴾ الذي له الحكمة التامة، والنعمة السابغة، والإحسان العظيم، والعلم المحيط بالسرائر والبواطن والخفايا، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

إذا كان إحكام الكتاب وتفصيله من عند الله الحكيم الخبير، فلا تسأل بعد هذا، عن عظمته وجلاله واشتماله على كمال الحكمة، وسعة الرحمة.

وإنما أنزل الله كتابه لـ ﴿أَن لَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ أي: لأجل إخلاص الدين كله لله، وأن لا يشرك به أحد من خلقه.

وحمد نفسه هنا، على أن ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ملكاً وعبيداً، يتصرف فيهم بحمده. ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ لأن في الآخرة، يظهر من حمده، والثناء عليه، ما لا يكون في الدنيا، فإذا قضى الله تعالى بين الخلائق كلهم، ورأى الناس والخلق كلهم، ما حكم به، وكمال عدله وقسطه، وحكمته فيه، حمدوه كلهم على ذلك، حتى أهل العقاب ما دخلوا النار، إلا وقلوبهم ممتلئة من حمده، وأن هذا من جراء أعمالهم، وأنه عادل في حكمه بعقابهم.

وأما ظهور حمده في دار النعيم والثواب، فذلك شيء قد تواردت به الأخبار، وتوافق عليه الدليل السمعي والعقلي، فإنهم في الجنة، يرون من توالي نعم اللّه، وإدرار خيره، وكثرة بركاته، وسعة عطاياه، التي لم يبق في قلوب أهل الجنة أمنية، ولا إرادة، إلا وقد أعطي فوق ما تمنى وأراد، بل يعطون من الخير ما لم تتعلق به أمانيهم، ولم يخطر بقلوبهم.

فما ظنك بحمدهم لربهم في هذه الحال، مع أن في الجنة تضمحل العوارض والقواطع، التي تقطع عن معرفة اللّه ومحبته والثناء عليه، ويكون ذلك أحب إلى أهلها من كل نعيم، وألذ عليهم من كل لذة، ولهذا إذا رأوا الله تعالى، وسمعوا كلامه عند خطابه لهم، أذهلهم ذلك عن كل نعيم، ويكون الذكر لهم في الجنة، كالنَّفَس، متواصلاً في جميع الأوقات، هذا إذا أضفت ذلك إلى أنه يظهر لأهل الجنة في الجنة كل وقت من

عظمة ربهم، وجلاله، وجماله، وسعة كماله، ما يوجب لهم كمال الحمد، والثناء عليه.

﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في ملكه وتدبيره، الحكيم في أمره ونهيه: ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ المطلع على سرائر الأمور وخفاياها ولهذا فصل علمه بقوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: من مطر، وبذر، وحيوان ﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ من أنواع النباتات، وأصناف الحيوانات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الأملاك والأرزاق والأقدار ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾ من الملائكة والأرواح وغير ذلك.

إن اقتران (**الحكيم الخبير**) فيه كمال من حكمة الله وحكمه وكمال من علمه بحقائق الأمور وعواقبها.. وكمال من اجتماع هذين الاسمين وهاتين الصفتين لله عز وجل.. (**فالحكيم الخبير**) هو الذي أنزل القرآن وفصله.. وهو الذي يقضي بين الخلق يوم القيامة.. وهو الذي له الثناء والمدح في الأولى والآخرة...

إن القلب يمتلأ خضوعاً وإيماناً وخوفاً وثقة بالله (**الحكيم الخبير**) سبحانه وتعالى.

الحكيم العليم

ورد اسم الله (العليم) في كتاب الله عز وجل مئة وأربعاً وخمسين مرة (١٥٤)، واقترن الاسمان ستاً وثلاثين (٣٦) مرة أتى (الحكيم) أولاً، (**الحكيم العليم**) سبع مرات، وأتى (**العليم**) أولاً (**العليم الحكيم**) تسعاً وعشرين (٢٩) مرة.

ومن الآيات التي ورد فيها الاسمان:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ (الزخرف).

﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ (الذاريات).

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ (الأنعام).

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ (الأنعام).

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ﴾ (الأنعام: ١٣٩).

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ (الحجر).

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ (النمل)

كما أخبر الله عز وجل أن القرآن من لدن (حكيم خبير) هود (١) يخبر هنا أنه من عند (حكيم عليم)... (آية النمل).

وبقية الآيات تبيّن حكمة الله وعلمه في تعليمه أنبيائه وتأييده لهم بالحجة وحكمته وعلمه في أمور السماوات والأرض، وضع كل شيء حيث يجب وشرع ما فيه خير العباد وأنه بحكمته وعلمه سيجازي المعاندين يوم القيامة، ويعلم لمن يعطي الحكمة فهو عز وجل (الحكيم الخبير).

وفي التفسير:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ أي: ألوهيته ومحبته فيهما. وهو سبحانه مستو فوق عرشه، بائن من خلقه، متوحد بجلاله، متمجد بكماله، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ الذي أحكم ما خلقه، وأتقن ما شرعه، فما خلق شيئاً إلا لحكمة، ولا شرع شيئاً إلا بحكمة، وحكمه القدري والشرعي والجزائي مشتمل على الحكمة.

(**العليم**) بكل شيء، يعلم السر وأخفى، لا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي والسفلي، ولا أصغر منها ولا أكبر. عن قتادة في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ قال: يُعبد في السماء، ويُعبد في الأرض.

﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ أي: الله الذي قدّر ذلك وأمضاه، فلا عجب في قدرة الله تعالى ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾، أي: الذي يضع الأشياء مواضعها، وقد وسع كل شيء علماً فسلموا لحكمه، واشكروه على نعمته.

﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصْفَهُمْ﴾ حين وصفوا ما أحله الله بأنه حرام، ووصفوا الحرام بالحلال، فناقضوا شرع الله وخالفوه، ونسبوا ذلك إلى الله. ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ حيث أمهل لهم، ومكنهم مما هم فيه. ﴿عَلِيمٌ﴾ بهم، لا تخفى عليه خافية، وهو تعالى أعلم بهم وبما قالوه عليه وافتروه.

وأما قوله: ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، فإنه يقول جل ثناؤه: إن الله في مجازاتهم على وصفهم الكذب، وقولهم الباطل عليه ﴿حَكِيمٌ﴾، وفي سائر تدبيره في خلقه ﴿عَلِيمٌ﴾، بما يصلحهم، وبغير ذلك من أمورهم.

الآيات التي تقدم فيها اسم الله (الحكيم) على اسم الله (العليم) موضوعها (حكم) الله أو (حكمته) فيما قضى وشرع سواء من أحكام شرعية أو أحكام جزائية.

فالعبد إذا آمن حقاً أن (الحكيم العليم) هو الذي شرع الحلال

والحرام وبيّن الأمر والنهي وما هو مطلوب فعله وتركه... وأنه هو الذي يحكم في الآخرة بين الخلق... يُقبل على أوامر الله دون شك أو تردد... ليستعد للمعاد الذي سيكون فيه الحكم لله عزوجل... ويقبل على كتاب الله مؤمناً بكل ما فيه لأنه من لدن (حكيم عليم).. سبحانه..

الحليم الغفور

ورد اسم الله (الحليم) في كتاب الله إحدى عشرة (١١) مرة واقترن بـ(الغفور) ست (٦) مرات أتى أربع مرات بعده (**الغفور الحليم**) ومرتين قبله (**الحليم الغفور**) وهاتان الآيتان هما...

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ (الإسراء).

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ (فاطر).

(الحليم): الذي لا يعاجل المذنبين بالعذاب والعقوبة بل يؤخر ويؤجل مع قدرته عليهم في جميع الأحوال.. ومن حلمه سبحانه جعل فترة التوبة الحياة كلها حتى الغرغرة ليرجع المذنبون ويتوب العاصون.

(الغفور): هو الذي يستر الذنوب فلا يعاقب عليها..

وفي التفسير:

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم.

أن تزولا «كراهة أن تزولا. أو يمنعهما من أن تزولا: لأن الإمساك منه» إنه كان حليماً غفوراً «غير معاجل بالعقوبة» حيث يمسكها وكانتا جديرتين بأن تهدا هدًّا لعظم كلمة الشرك كما قال: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠﴾ (مريم).

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فإن قيل: فما معنى ذكر الحلم هاهنا؟ قيل: لأن السموات والأرض همت بما همت به من عقوبة الكفار فأمسكهما الله تعالى عن الزوال بحلمه أن يعاجلهم بالعقوبة.

فقدم الله (الحلم) على (المغفرة)، في هاتين الآيتين اللتين ذكرتا خلق السماوات والأرض والمخلوقات التي لا تخرج عن طاعته.. وسخر هذه المخلوقات للإنس والجان، رغم معصية.. بل وكفر كثير من هذين الجنسين المكلفين.. وذلك لأنه (الحليم الغفور).

ومع علمه بذنوب العباد.. ووقوع جميع المعاصي تحت سمعه وبصره.. ومع عدم رضاه عما يحصل في ملكه.. وقدرته على العقاب الآني.. والعذاب حال الذنب.. إلا أن (**الحليم**) سبحانه يمهل عباده ويبقي لهم باب التوبة مفتوحاً.. حتى يرجعوا.

إن اقتران (الحليم) بـ (الغفور) يظهر كمالاً جديداً لهذين الاسمين من الأسماء الحسنى فإن (الحليم) لا يعاجل بالعقوبة مع قدرته ولكنه يؤجل... حتى يرجع المذنب ويستغفر فيغفر له (الغفور) سبحانه.. لأنه (الحليم الغفور).

الحميد المجيد

ورد اسم الله (الحميد) في كتاب الله عز وجل سبع عشرة (١٧) مرة، واقترن بـ(العزيز) ثلاث (٣) مرات، و(الغني) عشر (١٠) مرات، و(الولي) مرة واحدة، و(المجيد) مرة واحدة، و(**الحكيم**) مرة واحدة، وانفرد مرة واحدة.

وكان دائماً الاسم الثاني عدا الموضع الذي اقترن بـ(المجيد) فقد أتى أولاً...

وورد اسم الله (المجيد) مرتين في كتاب الله.

﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾ (هود).

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ ﴾ (البروج)

وفي التفسير:

﴿حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾:

(**الحميد**): المحمود فيما تفضل به على عباده وخلقه جميعاً.

(**المجيد**) الشريف الرفيع تزيد رفعته على كل رفعة، وشرفه على كل شرف.

وحيثما اقترن هذان الاسمان تقدم (الحميد) على (المجيد)، وذلك

للثناء على الله أولاً، ثم تمجيده وإجلاله ثانياً، كما في تفسير سورة الفاتحة، وكذلك في صيغة التشهد التي علمنا إيّاها رسول الله ﷺ:

(سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله علمنا كيف نسلم عليكم، قال قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك **حميد مجيد**. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك **حميد مجيد**) متفق عليه.

وفي تفسير سورة الفاتحة من صحيح مسلم.

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عزوجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي. ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمدلله رب العالمين قال الله: حمدني عبدي فإذا قال الرحمن الرحيم قال الله: أثنى علي عبدي وإذا قال: مالك يوم الدين قال: مجدني عبدي...).

ولا شك أن مرحلة الثناء والمدح تسبق مرحلة التمجيد والتعظيم فكان (الحميد) قبل (المجيد).

وفي التفسير:

وفى اختيار اسم (الحميد) من الأسماء الحسنى كناية عن رضي الله تعالى على إبراهيم (ع) وأهله.

ومن محامد الأفعال إيصال العبد المطيع إلى مراده ومطلوبه فإذا كان

من المعلوم أنه تعالى قادر على كل شيء وأنه حميد مجيد فكيف يبقى هذا التعجب فثبت أن المقصود من اختيار هذي الاسمين إزالة التعجب.

وفي سورة الذاريات عندما بشر الملائكة إبراهيم وزوجه بالولد وتعجبت قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾... وهنا قال سبحانه إنه (**حميد مجيد**) أن الغاية هنا أبسط فذكروا ما يدفع الاستبعاد والتعجب فلما صدقت أرشدت إلى القيام بشكر نعمة الله بقولهم (**حميد مجيد**) فإن (**الحميد**) هو الذي تتحقق منه الأفعال الحسنة و(**المجيد**) إشارة أن رفعته وشرفه... فإنه يحمد لذاته لا لأفعاله... وفي السورتين ترتيب الاسمين مقصود... فـ (**الحميد**) يتعلق بالفعل و(**المجيد**) يتعلق بالذات.. و(**الحكيم**) يتعلق بالفعل... و(**العليم**) يتعلق بالذات.

وجاء وصف القرآن بأنه (مجيد) مرتين في كتاب الله في سورة (البروج) (٢١)، وفي سورة (ق) (١) ولا شك أنه (مجيد) لأنه صفة من صفات الله، وكلام الله عز وجل الذي تكلم به حقيقة، فهو كلام عظيم شريف ذو رفعة وجلال مطلق.

وفي اللغة:

(الحمد): هو الثناء والمدح خلاف (الذم).

و(الحميد) فعيل بمعنى مفعول، فالله عز وجل محمود، ومثني عليه وممدوح في السماوات والأرض، وكل شيء يسبح بحمده (أي بالثناء عليه).

(المجد) الشرف الواسع، و(المجيد) صيغة مبالغة، فالله عز وجل (تمجّد) بأفعاله وأسمائه وصفاته، و(مجَّده) خلقه لعظمته.

واقتران الاسمين (الحميد المجيد)، يزيد من رغبة العبد ورهبته لله عز وجل... حيث اجتمع الثناء والمدح مع التمجيد والتعظيم.. وهكذا ينبغي أن يكون قلب المؤمن مليئاً بالرغبة والرهبة لله عز وجل.

الحي القيوم

ورد اسم الله (الحي) خمس (٥) مرات في كتاب الله، اقترن بالقيوم ثلاث (٣) مرات، في أعظم آية من كتاب الله (آية الكرسي)... والآية الثانية من آل عمران، والآية (١١١) من سورة طه... وانفرد الاسم مرتين..

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (البقرة).

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ (آل عمران).

﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾ ﴾ (طه).

﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (الفرقان).

﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (غافر).

ولم يرد اسم (القيوم) إلا مقترناً بـ(الحي):

وفي التفسير:

(الحي)... ذو الحياة التامة الكاملة (الذي لا يموت) الذي لا يحتاج إلى شيء لحياته الكاملة.

(القيوم):

قال (الزجاج): القائم بتدبير أمر خلقه في إنشائهم ورزقهم وعلمه بأمكنتهم وقال الفراء: القيوم (الفيعول) والقيَّام (الفيعال) وهما جميعاً للمدح.

وقال قتادة (القيوم) القائم على خلقه بآجالهم وأعمالهم ورزقهم، وجميع صفات الله عز وجل ترجع إلى (الحي)... وجميع أفعاله في خلقه ترجع إلى (القيوم).

فسبحانه هو (الحي القيوم).

قال العلماء: إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية في القرآن لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والقومية والملك والقدرة والإرادة، فهذه أصول الأسماء والصفات، وذلك لأن الله تعالى أعظم مذكور فما كان ذكراً له من توحيد وتعظيم كان أعظم الأذكار.

وفي تفسير الطبري: «ومعنى ذلك عندي: أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناءَ لها ولا انقطاع، ونفى عنها ما هو حالٌّ بكل ذي حياة من خلقه من الفناء وانقطاع الحياة عند مجيء أجله. فأخبر عبادَه أنه

المستوجب على خلقه العبادة والألوهية، والحي الذي لا يموت ولا يبيد، كما يموت كل من اتخذ من دونه ربّاً، ويبيد كلٌّ من ادعى من دونه إلهاً. واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى، فلا يكون إلهاً يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت وأنّ الإله، هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد ولا يفنى، وذلك اللّه الذي لا إله إلا هو».

عن أُبي بن كعب قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم**»؟ قال: قلت اللّه ورسوله أعلم قال: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم**»؟ قال: قلت «**اللّه لا إله إلا هو الحي القيوم**». قال فضرب في صدري وقال: «**والله ليهنك العلم أبا المنذر**» رواه مسلم. وفي السنة من قال: «**أستغفر الله... الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً غفرت له ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف**». (الصحيحة).

وكان ﷺ إذا حزبه أمر قال: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**». (صحيح).

وعن أنس قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ في المسجد ورجل يصلي فقال: «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم أسألك**» فقال النبي ﷺ: «**دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**». (الصحيحة)

وعن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال قال رسول اللّه ﷺ لفاطمة رضي اللّه عنها: «**ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا**

أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين». (حسن)

اجتماع الاسمين يزيد العبد طمأنينة وثقة واتكالاً على الله عز وجل فهي (الحي القيوم)... فيلجأ إليه ويستغيث به ويتوكل عليه ويسأله ويرجوه ويراقبه ويتوب إليه.. فسبحانه هو (الحي القيوم).

وإذا أراد أن يدعو الله... دعاء مسألة أو دعاء عبادة فليذكر (الحي القيوم) فإنه ربما يدعو باسم الله الأعظم... الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى..

الخبير البصير

ورد اسم الله الخبير خمساً وأربعين (٤٥) مرة في كتاب الله، واقترن بـ(البصير) خمس (٥) مرات، وورد البصير إحدى وأربعين (٤١) مرة في كتاب الله.

﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧ ﴾ (الشورى).

﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ١٧ ﴾ (الإسراء).

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ٣٠ ﴾ (الإسراء).

﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ٩٦ ﴾ (الإسراء).

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ﴾ (فاطر).

في التفسير:

﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾: محيط بخفايا أمورهم وجلاياها، فيقدر لكل واحد منهم ما يليق بشأنه.

فهو عز وجل ﴿خَبِيرُۢ﴾ يعلم حقيقة الأشياء ﴿بَصِيرٌ﴾. يرى كل شيء على حقيقته.. فجمع بين معرفة الأشياء على حقيقتها ورؤيتها على حقيقتها... ولذلك نفى الإبصار عن الخلق في بعض الأحيان... ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

وكذلك قال سبحانه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ (الأنعام)، وقال تعالى فإنها ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ (الحج) فنفى عز وجل (البصيرة) عن القلوب المعرضة.

﴿خَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾ يعرف ما تؤول إليه أحوالهم، فيقدّر لهم ما هو أصلح لهم وأقرب إلى جمع شملهم، فيُفقر ويُغني، ويَمنع ويُعطي، ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية. ولو أغناهم جميعاً لبغوا، ولو أفقرهم جميعاً لهلكوا.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾:

إنه تعالى عالم بجميع المعلومات فلا يخفى عليه شيء من أحوال الخلق، وثبت أنه قادر على كل شيء. وأيضاً أنه منزه عن العبث والظلم. ومجموع هذه الصفات الثلاث التي هي: العلم التام، والقدرة الكاملة،

والبراءة عن الظلم... بشارة عظيمة لأهل الطاعة. وإنذار عظيم لأهل الكفر والمعصية.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ (الإسراء) ذكر بعده الوعيد الشديد على سبيل التفصيل.

قل يا محمد للقائلين لك: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ (الإسراء).

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾ يقول: إن الله بعباده ذو خبرة وعلم بأمورهم وأفعالهم، و﴿بَصِيرًا﴾ بتدبيرهم وسياستهم وتصريفهم فيما شاء وكيف شاء لا يخفى عليه شيء من أمورهم وهو مجاز جميعهم بما قدم عند ورودهم عليه سبحانه.

فهو عز وجل... يعلم حقيقة كل شيء.. وعلمه عن رؤية لحقائق كل شيء.. وهذا كمال العلم الذي يليق به سبحانه وتعالى.

وعلى ذلك يدبر أمور خلقه ويقضي لهم ما يشاء في الدنيا ويجازيهم على ذلك يوم القيامة فهو (الخبير البصير) عز وجل.

الخلّاق العليم

ورد اسم الله (الخـلاق) في كتاب الله العزيز مرتين، اقـترن فيهما بـ(العليم).

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ (الحجر).

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ (يس).

وفي التفسير:

﴿ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾: كلاهما صيغة مبالغة، والآية تشير إلى أنه لا يمكن أن يتصف (الخلاّق) بكونه خلاقاً إلا وهو عليم بكل شيء لا يخفى عليه شيء، إذ الجاهل بالشيء لا يمكنه أن يخلقه.

﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ لأن خلق المخلوقات من أقوى الأدلة على علم خالقها وحكمته.

وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ (يس)، وقوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ (الملك)، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ (البقرة)، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ (الطلاق).

ذكر ابن القيم في (الفوائد): جاءت براهين المعاد في القرآن مبيَّنة على ثلاثة أصول أحدها تقرير كمال علم الرب سبحانه كما قال في جواب من قال: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾، وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ (الحجر).

والثاني: تقرير كمال قدرته كقوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ﴾ وقوله: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ (القيامة)، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ (الحج)، ويجمع سبحانه بين الأمرين كما في قوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾.

والثالث: كمال حكمته كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (الدخان)، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ﴾ (ص)، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ (القيامة)، وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ (المؤمنون)، وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الجاثية)، ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع وأن كمال الرب تعالى وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه.

وفي إعلام الموقعين: وفي قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

فتضمنت هذه الآيات عشر أدلة أحدها قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾، فذكَّره مبدأ خلقه ليدله به على النشأة الثانية ثم أخبر أن هذا الجاحد لو ذكر خلقه لما ضرب المثل بل لَمَّا نسي خلقه ضرب المثل فتحت قوله ونسي خلقه ألطف جواب وأبين دليل وهذا كما تقول لمن جحدك أن تكون قد أعطيته شيئاً فلان جحدني الإحسان إليه ونسي الثياب التي عليه والمال الذي معه والدار التي هو فيها حيث لا يمكنه جحد أن يكون ذلك منك ثم أجيب عن سؤاله بما يتضمن أبلغ الدليل على ثبوت ما جحده فقال قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فهذا جواب واستدلال قاطع ثم أكد هذا المعنى بالإخبار بعموم علمه لجميع الخلق فإن تعذر الإعادة عليه إنما يكون لقصور علمه أو قصور في قدرته ولا قصور في علم من هو بكل خلق عليم ولا قدرة فوق قدرة من خلق السموات والأرض وإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون وبيده ملكوت كل شيء فكيف تعجز قدرته وعلمه عن إحيائكم بعد مماتكم ولم تعجز عن النشأة الأولى ولا عن خلق السموات والأرض.

وهو الخلاق العليم فكونه (خلاقاً عليماً) يقتضي أن يخلق ما يشاء

ولا يعجزه ما أراده من الخلق ثم قرر هذا المعنى بأن عموم إرادته وكمالها لا يقصر عنه ولا عن شيء أبداً فقال إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فلا يمكنه الاستعصاء عليه ولا يتعذر عليه بل يأتي طائعاً منقاداً لمشيئته وإرادته ثم زاده تأكيداً وإيضاحاً بقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، فنزه نفسه عما نطق به أعداؤه المنكرون للمعاد معظِّماً لها بأن ملك كل شيء بيده يتصرف فيه تصرف المالك الحق في مملوكه الذي لا يمكنه الامتناع عن أي تصرف شاءه فيه ثم ختم السورة بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ كما أنهم ابتدأوا منه.

وفي اللغة:

(خلق) أوجد شيئاً من العدم، والخالق هو الذي ينشئ الشيء بعد أن لم يكن بتقدير وعلم عن قدرة وغنى، أما (الخلاق) فهو الذي يبدع في خلقه كماً وكيفاً، فمن حيث الكم يخلق ما يشاء.. وأما من حيث الكيف ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ (السجدة).

والله عز وجل يخلق بـ(كن) قالوا: ليس من كلام العرب شيء هو أخف من ذلك ولا أهون، فأمر الله كذلك.

و﴿ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ بيان لقدرة الله المطلقة في كل شيء لأنه خالق كل شيء، وكونه الخلاق فيلزم أن يكون عليماً بأدق تفاصيل خلقه فهو سبحانه الذي أوجد كل شيء من لا شيء.

الرؤوف الرحيم

ورد اسم الله (الـرؤوف) عشر (١٠) مـرات في كتاب الله، اقترن بـ(الرحيم) ثمان (٨) مـرات، ولم يقترن بغيره من الأسماء الحسنى، وانفرد مرتين:

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ (التوبة).

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (النور).

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحشر).

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (البقرة).

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (النحل).

﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ (النحل).

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾﴾ (الحج).

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾﴾ (الحديد).

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ (البقرة).

﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ (آل عمران).

(الرأفة): أشد الرحمة، وقيل هي الرحمة مع العطف والحب، ولا تكاد تقع مع الكراهية... والرحمة قد تقع مع الكراهية للمصلحة.

قال البيهقي: (الرؤوف) (المتساهل مع عباده فلم يحمّلهم من العبادات ما لا يطيقون).[1]

(١) الأسماء والصفات للبيهقي.

(والتحقيق أن معنى الرأفة أو متعلقها: الرفق بالضعيف كالطفل واليتيم والمبتلى والعناية بهم، وأما متعلق الرحمة فهو أعم يشمل الإحسان العام والخاص).

في التفسير:

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ﴾ أي لكيلا تسقط ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ يعني أنه أنعم بهذه النعم الجامعة بمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية في الإنعام والإحسان فهو إذن رؤوف رحيم.

﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ أي غشاً وحسداً وبغضاً ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ فكل من كان في قلبه غل أو بغض لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية، قال ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوءوا الدار والإيمان والذين جاؤوا من بعدهم فاجتهد أن لا تكون خارجاً من هذه الثلاث منازل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ فالمعنى أن المنعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين قد بلغ الغاية في الإحسان والإنعام، فهو إذن رؤوف رحيم. فذكر الله تعالى الرأفة أولاً بمعنى أنه لا يضيع أعمالهم ويخفف المحن عنهم، ثم ذكر الرحمة لتكون أعم وأشمل، ولا تختص رحمته بذلك النوع بل هو رحيم من حيث أنه دافع للمضار التي هي الرأفة وجالب للمنافع معاً.

ذكروا في وجه تعلق هذين الاسمين بما قبلهما وجوهاً. أحدها: أنه تعالى لما أخبر أنه لا يضيع إيمانهم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ (الحج: ٦٥) والرؤوف الرحيم كيف يتصور منه هذه الإضاعة. وثانيها: أنه لرؤوف رحيم فلذلك ينقلكم من شرع إلى شرع آخر وهو أصلح لكم وأنفع في الدين والدنيا وثالثها: قال: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فكأنه قال: وإنما هداهم الله لأنه رؤوف رحيم.

إن اقتران هذين الاسمين من الأسماء الحسنى يملأ القلب تعلقاً بالله (الرؤوف الرحيم).. فيأتي العبد العبادة الصحيحة، مخلصاً لله ويعلم يقيناً أن الله لا يضيع شيئاً مهما صغر حتى التسبيحة والتكبيرة والصدقة القليلة والكلمة الطيبة... كلها يجمعها (**الرؤوف الرحيم**) لعبده بل ويضاعفها له يوم القيامة.. فأقبل على الله يا عبد الله راغباً إليه واثقاً به محبًّا له... فهو (**الرؤوف الرحيم**).

رب رحيم

الرب: ورد في كتاب الله على الإطلاق منوناً معرفاً... في آيتين من كتاب الله، واقترن بـ(الرحيم)، وبـ(الغفور).

﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ (يس).

أما ما ورد مضافاً مقيداً: (ربنا ـ ربه ـ ربكم ـ رب العالمين...)، فتجاوز السبعمئة مرة.

و(الرب) بالألف واللام لا يطلق على غير الله عز وجل.

وكل من ملك شيئاً فهو ربه.. يقال رب الدابة... ورب الدار وفلانة ربة الدار.. وفي حديث أشراط الساعة: «أن تلد الأمة ربتها...» (متفق عليه).

ومع أنه سبحانه وتعالى (الرب).. الذي خلق الخلق جميعاً.. السماوات والأرض وما بينهما... وكل شيء فهو سبحانه خالقه ومالكه.. فهو (رب كل شيء) عز وجل.. وله حق التصرف المطلق في ملكه. مع ذلك.. هو (رب رحيم)... دائماً.. وتتجلى هذه الرحمة في الآخرة عندما يسلم على عباده المؤمنين في الجنة ويلقى عليهم التحية (سلام)..

في التفسير:

﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ أي: من أهم ما يدعون: (سلام) يقال لهم قولاً من رب رحيم، بلا واسطة، مبالغة في إكرامهم، وذلك غاية متمناهم، مضافاً لرؤيته، ومن مقتضى الرحمة: الإبقاء عليهم مع ذلك. يسمعون كلامه وسلامه بلا واسطة، وأكّد بقوله: (قولاً). وبقوله: (من رب رحيم) ليُعلم أنه ليس على لسان سفير، والرحمة في تلك الحالة أن

يرزقهم الرؤية في حال التسليم عليهم، ليكمل لهم النعمة (سلام) حاصل لهم (من رب رحيم) ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكده بقوله: (قولاً) وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً، فلولا أن الله تعالى قدّر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك.

في تفسير الرازي: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ (يس).

هو أكمل الأشياء وهو أعلاها الذي لا شيء فوقه.

والسلام يظهر مزية تعظيمه للمسلَّم عليه فقال: ﴿رَبٍّ رَّحِيمٍ﴾ لأن رب الشيء مالكه الذي إذا نظر إلى علو مرتبته لا يرجى منه الإلتفات إليه بالتعظيم، فإذا سلم عليه يعجب منه وقيل انظر هو سيده ويسلم عليه.

إن اقتران هذين الاسمين (**رب رحيم**) فيه تودد من الله لخلقه وترغيب لهم أن يبذلوا الأسباب لينالوا هذه المنزلة العظيمة والنعمة الكبرى بأن يسلم عليهم ربهم... فهو دائماً (**رب رحيم**)... والعذاب أمر طارئ لا يقع إلا على من أصر أن يكون من أهله... أما الله سبحانه ربنا (**رب رحيم**).

رب غفور

ورد اسم (الرب) لله عز وجل مطلقاً مرتين في كتاب الله عز وجل، اقترن مرة بـ(الرحيم)، ومرة بـ(الغفور) تناسقاً مع الآية التي ورد فيها.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ (سبأ).

(**الرب**) مالك الشيء ولا يطلق على غير الله إلا مضافاً ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (يوسف)، أي (سيدك).

في التفسير:

﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ قال وهب: أي وربكم، إن شكرتم على ما رزقكم رب غفور لمن شكره.

وعن قتادة ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ وربكم غفور لذنوبكم، قوم أعطاهم الله نعمة وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته.

قال ابن عباس: كانت سبأ على ثلاث فراسخ من صنعاء وكانت أخصب البلاد، تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيدها وتسير بين الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر.

وطيبها: ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، ومن يمر بها من الغرباء يموت قمله لطيب هوائها.

وكانت ثلاث عشرة قرية، فبعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيّاً، فكذَّبوا الرُّسل، ولم يُقِرُّوا بنِعم الله، فذلك قوله: ﴿فَأَعْرَضُواْ﴾ أي: عن الحقّ، وكذَّبوا أنبياءهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾.

وفي تفسير القرطبي: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ : أي قالت الرسل لهم قد أباح الله تعالى لكم ذلك ﴿مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ أي من ثمار الجنتين ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ يعني على ما رزقكم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ هذا كلام مستأنف أي هذه بلدة طيبة أي كثيرة الثمار وقيل: غير سبخة وقيل: طيبة ليس فيها هوام لطيب هوائها قال مجاهد: هي صنعاء.

﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ أي والمنعم بها عليكم رب غفور يستر ذنوبكم فجمع لهم بين مغفرة ذنوبهم وطيب بلدهم ولم يجمع ذلك لجميع خلقه وقيل: إنما ذكر المغفرة مشيراً إلى أن الرزق قد يكون فيه حرام وقيل: إنما امتن عليهم بعفوه عن عذاب الاستئصال بتكذيب من كذبوه من سالف الأنبياء إلى أن استداموا الإصرار فاستؤصلوا.

واقترن الاسمان ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ لبيان فضل الله على عباده، فهو عز وجل خالقهم ومالكهم، وله أن يفعل بهم ما يشاء وما ظلمهم.. ومع ذلك فهو (**غفور**) كثير الستر على من يذنب.. فلا يعذب على الذنب من استغفر منه.. وفي هذا ترغيب أن يرجع المذنب إلى ربه فإنه (**رب غفور**).. سبحانه وتعالى.

الرحيم الغفور

أتى اسم الله (الرحيم) ثانياً مع جميع الأسماء التي اقترن بها عدا في الآية (٩) من سورة هود (رحيم ودود) والآية (٢) من سورة سبأ:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ (سبأ).

في التفسير:

إعلم أن كلمتي (**يلج**) و (**يخرج**) أوضح ما يُعَبَّر به عن أحوال جميع الموجودات الأرضية بالنسبة إلى اتصالها بالأرض، وأن كلمتي (**ينزل**) و(**يعرج**) أوضح ما يعبَّر به عن أحوال الموجودات السماوية بالنسبة إلى اتصالها بالسماء، ولذلك لم يعطف السماء على الأرض في الآية فلم يقل: يعلم ما يلج في الأرض والسماء، وما يخرج منهما، ولم يُكتف بإحدى الجملتين عن الأخرى.

ولما كان من جملة أحوال ما في الأرض أعمال الناس وأحوالهم من عقائد وسير، ومما يعرج في السماء العمل الصالح والكَلم الطيّب أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ أي الواسع الرحمة والواسع المغفرة، وهذا إجمال قصد منه حث الناس على طلب أسباب الرحمة والمغفرة المرغوب فيهما، فإن من رغب في تحصيل شيء بحث عن وسائل تحصيله وسعى إليها. وفيه تعريض بالمشركين أن يتوبوا عن الشرك فيغفر لهم ما قدموه.

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: من مطر، وبذر، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من أنواع النباتات، وأصناف الحيوانات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الأملاك والأرزاق والأقدار ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ﴾ من الملائكة والأرواح وغير ذلك.

وخص بالذكر في متعلِّق العلم ما يلج وما يخرج من الأرض دون ما يَدِبّ على سطحها، وما ينزل وما يعرج إلى السماء دون ما يجول في أرجائها لأن ما ذكر لا يخلو عن أن يكون دَابّاً وجائلاً فيهما، والذي يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها يعلم ما يدبّ عليها وما يزحف فوقها، والذي يعلم ما ينزل من السماء وما يعرج فيها يعلم ما في الأجواء والفضاء من الكائنات المرئية وغيرها ويعلم سير الكواكب ونظامها.

إن ذكر ما يلج في الأرض وما يخرج منها يذكِّر بحال الموتى عند ولوجهم القبور وعند نشرهم منها كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ (المرسلات) وقال: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ (ق)، وكان ذكر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها منبهاً إلى عروج الأرواح عند مفارقة الأجساد ونزول الأرواح لتُرَدّ إلى الأجساد التي تعاد يوم القيامة، فكان ذلك مع ما تقدم من قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأَخِرَةِۚ﴾ (سبأ).

ولما ذكر مخلوقاته وحكمته فيها، وعلمه بأحوالها، ذكر مغفرته ورحمته لها، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ أي: الذي الرحمة والمغفرة صفته، ولم تزل آثارهما تنزل على عباده كل وقت بحسب ما قاموا به من مقتضياتهما.

تقدم (**الرحيم**) على (**الغفور**) في هذا الموضع فقط من كتاب الله وذلك لأنه برحمته يُنزل كل النعم من السماء، وبرحمته يُخرج كل النعم من الأرض للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم... فآثار رحمته وسعت الجميع ثم يرغّب العصاة والمذنبين بالاستغفار والتوبة حياء من الله الذي أسبغ عليهم كل هذه النعم فكأنه يدعوهم (**أن استغفرو الله**) لأنه سبحانه هو (**الرحيم الغفور**).

رحيم ودود

اسم الله (الرحيم) أتى دائماً ثانياً إذا اقترن بأي اسم من الأسماء الحسنى عدا (الودود)، فإنه أتى قبله.. في الآية (٩٠) من سورة هود، وفي الآية الثانية من سورة سبأ..

﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾.

ورد اسم الله (الودود) مرتين في كتاب الله عز وجل.. في الآية السابقة وفي الآية (١٤) من سورة البروج (**وهو الغفور الودود**) قال ابن عباس: (الودود) المحب لعباده المؤمنين، فهو من قولهم (وددت) الرجل (أوده) إذا أحببته، وقيل: يحتمل أن يكون (ودود) بمعنى مفعول، ومعناه: أن عباده الصالحين يودّونه ويحبونه، لكثرة أفضاله وإحسانه إليهم.

وقال الحليمي: هو (الوادّ) لأهل طاعته.

(الودود) الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم ويحبونه فهو أحب إليهم من كل شيء قد امتلأت قلوبهم من محبته.

و(الودّ) خالص المحبة.. فهو جل وعلا (محبوب) و(محب).. فهو يشمل الوجهين جميعاً.

و(الودّ) علاقة خاصة للمؤمنين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ (مريم)، شيئاً خاصاً لهم يميّزهم الله به.

وجملة ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ عطف على جملة ﴿لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾. وجملة ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾ تعليل الأمر باستغفاره والتوبة إليه، وهو تعليل لما يقتضيه الأمر من رجاء العفو عنهم إذا استغفروا وتابوا.

وفي إضافة الرب إلى ضمير نفسه مرة وإلى ضمير قومه أخرى لتذكيرهم بأنّه ربّهم كيلا يستمروا على الإعراض وللتشرف بانتسابه إلى مخلوقيته.

واعلم أن هذا الترتيب الذي راعاه شعيب عليه السلام في ذكر هذه الوجوه الخمسة ترتيب لطيف وذلك لأنه بيّن أولاً أن ظهور البينة له وكثرة إنعام الله تعالى عليه في الظاهر والباطن يمنعه عن الخيانة في وحي الله تعالى ويصده عن التهاون في تكاليفه. ثم بيّن ثانياً أنه مواظب على العمل بهذه الدعوة ولو كانت باطلة لما اشتغل هو بها مع اعترافهم بكونه حليماً رشيداً، ثم بيّن صحته بطريق آخر وهو أنه كان معروفاً بتحصيل موجبات الصلاح وإخفاء موجبات الفتن، فلو كانت هذه الدعوة باطلة لما اشتغل بها، ثم لما بيّن صحة طريقته أشار إلى نفي المعارض وقال لا ينبغي أن تحملكم عداوتي على مذهب ودين تقعون بسببه في العذاب الشديد من الله تعالى، كما وقع فيه أقوام الأنبياء المتقدمين، ثم إنه لما صحح مذهب نفسه بهذه الدلائل عاد إلى تقرير ما ذكره أولاً وهو التوحيد والمنع من البخس بقوله: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾ ثم بين لهم أن سبق الكفر والمعصية منهم لا ينبغي أن يمنعهم من الإيمان والطاعة لأنه تعالى رحيم ودود يقبل الإيمان والتوبة من الكافر والفاسق لأن رحمته وحبه لهم يوجب ذلك، وهذا التقرير في غاية الكمال.

وما ألطف اقتران اسم (الودود بالرحيم) فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه وكذلك قد يرحم من لا يحب والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه ويرحمه ويحبه فإنه يحب التوابين وإذا تاب إليه عبده أحبه ولو كان منه ما كان.

في قوله إن (ربي رحيم ودود) سر لطيف وهو أنه يحب التوابين وأنه يحب عبده بعد المغفرة فيغفر له ويحبه كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ (البقرة)، فالتائب حبيب الله والاستغفار يتضمن التوبة والتوبة تتضمن الاستغفار وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

وفي اقتران (**الرحيم**) بـ(**الودود**)... بيان لهذه المنة العظيمة من الله عز وجل على عباده المؤمنين... فهو (**يرحمهم**)... و(**يودهم**) وهل يبقى للعبد بعد ذلك سبب ألا يمتلأ قلبه بحب الله حباً يفوق حب كل مخلوق حتى وإن كان عاصياً في فترة ما من حياته... فإن (**الرحيم الودود**) يقبله ويحبه إذا هو رجع إليه سبحانه وتعالى.

السميع البصير

ورد اسم الله (السميع) في كتاب الله عز وجل خمساً وأربعين (٤٥) مرة، وورد اسم الله (البصير) إحدى وأربعين (٤١) مرة، واقترن الاسمان عشر (١٠) مرات والآيات التي اقترن فيها الاسمان هي:

﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (الإسراء).

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ (غافر).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ (غافر).

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾ (الحج).

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾ (الحج).

﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٢٨ ﴾ (لقمان).

﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ﴾ (المجادلة).

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ (النساء).

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ١٣٤ ﴾ (النساء).

في التفسير:

أشهر آية ورد فيها اقتران الاسمين هي آية الشورى (١١)، في إثبات قاعدة الأسماء والصفات ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾.

فأثبت لنفسه عز وجل السمع والبصر، بعد أن نفى المثل مطلقاً فهو عز وجل يسمع سمعاً يليق بذاته، ويبصر إبصاراً يليق بذاته.. كما قال لموسى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ ﴾ (طه).

يسمع عز وجل مايحب وما يبغض، ويرى ما يرضيه وما يغضبه..

في ختام بعض الآيات وعيد للمعرضين، لأن الله يسمع ما يقولون، ويبصر ما يعملون، وبيان أن الذين يُدعَون من دون الله لا يسمعون ولا يبصرون، فلا يملكون ضراً ولا نفعاً لهم.

والسمع والبصر هما ركنا العلم اليقيني الثابت والسمع يسبق البصر دائماً.. فاقترنا بهذا الترتيب ولله المثل الأعلى عز وجل.

وبعض الآيات التي ختمت بـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ فيها مدح لأوامر الله ونواهيه لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية.

و(البصير) إذا انفرد قد يعني (البصر) أو (البصيرة) أما إذا اقترن بـ(السميع) فإنه يعني البصر والنظر والرؤية التي تليق برب العزة سبحانه وتعالى.

قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ أي يسمع من الكفار ثناءهم على الأصنام، ولا يسمع منهم ثناءهم على الله ويبصر خضوعهم وسجودهم لهم، ولا يبصر خضوعهم وتواضعهم لله، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ يفيد الحصر، لفظان مشعران بحصول هاتين الصفتين على سبيل الكمال، والكمال في كل الصفات ليس إلا لله، فهذا هو المراد من هذا الحصر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ (غافر).

والاستعاذة بالله في مواجهة الكبر توحي باستبشاعه واستفظاعه. فالإنسان إنما يستعيذ بالله من الشيء الفظيع القبيح، الذي يتوقع منه الشر والأذى.. وفي الكبر هذا كله. وهو يتعب صاحبه ويتعب الناس من حوله؛ وهو يؤذي الصدر الذي يحيك فيه ويؤذي صدور الآخرين. فهو شر يستحق الاستعاذة بالله منه.. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.. الذي يسمع ويرى، والكبر الذميم يتمثل في حركة ترى وفي كلام يسمع. فهو يكل أمره إلى السميع البصير يتولاه بما يراه.

واقتران الاسمين (**السميع البصير**) يورث عند العبد المراقبة فيما ينطق ويفعل، فإن (**السميع البصير**) يسمع ويرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء..

وليس ذلك فحسب بل كل شيء يحويه القلب كما في حديث النبي ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**» مسلم.. فهو سبحانه يرى الشرك والكبر والرياء... وكذلك يرى الصدق والإخلاص والتقوى وكل هذه في القلوب...

فيراقب العبد أقواله... ويصلح أعماله.. وينظف قلبه لأنه يتعامل مع (**السميع البصير**) سبحانه.

السميع العليم

ورد اسم الله (السميع) في كتاب الله عز وجل خمساً وأربعين (٤٥) مرة، اقترن بـ(العليم) اثنتين وثلاثين (٣٢) مرة، وبـ(البصير) عشر (١٠) مرات، وبـ(القريب) مرة واحدة، وانفرد مرتين مضافاً إلى الدعاء.

و(السميع) في جميع المواضع كان الاسم الأول ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

ومن الآيات التي اقترن فيها الاسمان في كتاب الله العزيز:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ (البقرة).

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ (البقرة).

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ (المائدة).

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ (الأنعام).

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ (الأنعام).

﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ (الأنفال).

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ (الأنبياء).

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ (فصلت).

﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ ﴾ (البقرة).

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ (البقرة).

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ (البقرة).

﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (آل عمران).

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾ (آل عمران).

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (الأعراف).

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ (الأنفال).

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ (التوبة).

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ (التوبة).

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ (النور).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ (الحجرات).

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ (النساء).

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ (الأنفال)

(السميع) وهو سمع مطلق يليق بالله عز وجل، فهو يسمع دبيب

النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء.. يسمع السر وأخفى.. والكل سواء عنده عز وجل.

واقتران الاسمين (السميع العليم) يبيّن أن علمه لم يكن عن إخبار له ولا عن نقل إليه.. بل هو سبحانه يسمع ما يقال في ملكه.

و﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ بمعنى السامع وهو من صيغ المبالغة.

وفي الآيات تحذير للعباد وتهديد للمعاندين، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ (البقرة).

وعندما يقترن الإسمان بموضع دعاء، فالمقصود الإجابة... كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ (آل عمران).

وفي موضع تأييد للنبي ﷺ:

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ (يونس).

﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ (الأنفال).

في تفسير السعدي: (ولهذا وعد الله رسوله أن يكفيه إياهم لأنه السميع لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تنوع الحاجات، العليم بما بين أيديهم وما خلفهم، وبالغيب والشهادة بالظواهر والبواطن، فإن كان كذلك كفاك الله شرهم).

وقال القرطبي في آيات الوصية: (صفتان لله تعالى لا يخفى معهما شيء من جنف الموصين وتبديل المعتدين).

قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ولم يذكر صفة غيرهما كالعزيز الحكيم وغيرهما، وذلك لأنه سبق القول في قوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ وسبق الفعل بقوله: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ وبقوله: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ وبقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤﴾ وهو (السميع) يسمع ما قالوه وهو (العليم) يعلم من صدق فيما قال: ممن كذب وأيضاً عليم ما يعمل فيثيب ويعاقب وههنا لطيفة وهي أن العبد له ثلاثة أمور هي أصناف حسناته أحدها: عمل قلبه وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع، وإنما يعلم وعمل لسانه وهو يسمع وعمل أعضائه وجوارحه وهو يرى فإذا أتى بهذه الأشياء يجعل الله لمسموعه ما لا أذن سمعت، ولمرئيه ما لا عين رأت، ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب أحد، كما وصف في الخبر في وصف الجنة.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾.

ثم قال: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ﴾ أي للرحمة فهي نصب على أن يكون مفعولاً له. ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يعني أن تلك الرحمة كانت رحمة في الحقيقة لأن المحتاجين، إما أن يذكروا بألسنتهم حاجاتهم، وإما أن لا يذكروها فإن ذكروها فهو تعالى يسمع كلامهم، وإن لم يذكروها فهو تعالى عالم بها فثبت أن كونه سميعاً عليماً يقتضي أن ينزل رحمته عليهم.

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ بل هو عاجز عن صرفه عن نفسه وجلب الخير لها، فكيف يقدر أن يدفعه عن غيره؟ وعبَّر عنه بـ(ما)، دون (من) إشارة إلى أنه من جنس ما لا يعقل، وما كان مشاركاً في الحقيقة لجنس ما لا يعقل، يكون معزولاً عن الألوهية، وإنما قدّم الضر؛ لأن التحرز منه أهم من تحري النفع، ثم هددهم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ بالأقوال والعقائد، فيجازي عليهما، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات، التي من جملة ما أسروه من النجوى، فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وعيد لهم، أي يسمع ما ينطقون به، ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه. أو وعْدٌ لرسول الله ﷺ بمعنى: يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق، وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك.

﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ (الأنعام).

﴿وله﴾ عطف على الله ﴿مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ ﴾ من السكنى وتعديه بفي كما في قوله: ﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم، فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان.

عقَّب هذا الدعاء بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ كأنه يقول: تسمع دعاءنا وتضرعنا، وتعلم ما في قلوبنا من الإخلاص وترك الالتفات إلى أحد سواك. فإن قيل: قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يفيد الحصر وليس الأمر كذلك، فإن غيره قد يكون سميعاً. قلنا: إنه سبحانه لكماله في هذه الصفة يكون كأنه هو المختص بها دون غيره.

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ (الأعراف) ففيه وجهان: الأول: أن الغرض من الاستعاذة الاحتراز من شر الوسوسة ومعلوم أن الوسوسة كأنها حروف خفية في قلب الإنسان، ولا يطلع عليها أحد، فكأن العبد يقول: يا من هو على هذه الصفة التي يسمع بها كل مسموع، ويعلم كل سر خفي أنت تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه فيها، وأنت القادر على دفعها عني، فادفعها عني بفضلك، فلهذا السبب كان ذكر السميع العليم أولى بهذا الموضع من سائر الأذكار:

الثاني: أنه إنما تعين هذا الذكر بهذا الموضع اقتداء بلفظ القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ (الأعراف) وقال في حم السجدة: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ (فصلت).

فالعبد المؤمن يحفظ لسانه عن كل ما لا يرضاه الله لأنه يتعامل مع (السميع العليم) عز وجل... يسمع ما يقال ويعلم المقاصد.

السميع القريب

اقترن اسم الله (السميع) بـ(القريب) مرة واحدة في كتاب الله عز وجل في قوله.

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (سبأ).

في التفسير:

قوله: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾: إن ربي سميع لما أقول لكم، حافظ له، وهو المجازي لي على صدقي في ذلك، وهو مني غير بعيد، فيتعذر عليه سماع.... (الطبري)

ربي (سميع) للأقوال والأصوات كلها، (قريب) ممن دعاه وسأله وعبده. (السعدي)

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ أي أن الله يعلم أني على هدى، أو ضده، ويحصل من ذلك علم مقابلة من أحوال خصومه، لأنه سميع لما يقوله الفريقان، قريب مما يضمرونه، فلا يخفى عليه شيء.

وفي تفسير الرازي: فإن قلت: أين التقابل بين قوله: ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ﴾ وقوله: ﴿يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ﴾ وإنما كان يستقيم أن يقال: فإنما أضل على نفسي، وإن اهتديت فإنما اهتدى لها، كقوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ﴾ (فصلت: ٤٦)، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن

ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ (الزمر). أو يقال: فإنما أضلّ بنفسي. قلت: هما متقابلان من جهة المعنى؛ لأنّ النفس كل ما عليها فهو بها، أعني: أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها: لأنّها الأمّارة بالسوء، وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه، وهذا حكم عامّ لكل مكلف، وإنما أمر رسوله ﷺ أن يسنده إلى نفسه؛ لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة قدره وسداد طريقته كان غيره أولى به ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ يدرك قول كل ضالّ ومهتد، وفعله لا يخفى عليه منهما شيء.

وعن ابن القيم: وفي الصحيح: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير فقال: يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إن الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته. (متفق عليه)

فهذا قرب خاص بالداعي دعاء العبادة والثناء والحمد وهذا القرب لا ينافي كمال مباينة الرب لخلقه واستواءه على عرشه بل يجامعه ويلازمه فإنه ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً منه ولا ريب أن العبد يقرب من ربه والرب يقرب من عبده فأما قرب العبد: كقوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ (العلق)، وقوله في الحديث القدسي: «**من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً**» (مسلم). وكقوله: «**وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر**

وبي يبطش وبي يمشي» (البخاري)، وفي الحديث الصحيح: «**أقرب ما يكون الرب من عبده: في جوف الليل الأخير**» (الترمذي - صححه الألباني)، وفي الحديث أيضاً: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**» (مسلم).

وهو لقربه يسمعها وإن خفضت كما يسمعها إذا رفعت فإنه سميع قريب وهذا القرب هو من لوازم المحبة فكلما كان الحب أعظم كان القرب أكثر.

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.

فهذا نص صريح في أن هدي الرسول ﷺ إنما يحصل بالوحي فيا عجباً كيف يحصل الهدى لغيره بالآراء والعقول المختلفة والأقوال المضطربة ولكن من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

فأي ضلال أعظم من ضلال من زعم أن الهداية لا تحصل بالوحي ثم يحيل فيها على عقل فلان وراي فلتان وقول زيد وعمرو ولقد عظمت نعمة الله على عبد عافاه من هذه البلية العظمى والمصيبة الكبرى والحمد لله رب العالمين.

ولا شك أن اقتران الاسمين.. يدفع العبد إلى الإخلاص في الدعاء والسؤال.. فالله يسمع عبده، وقريب منه.. فينبغي على العبد أن يكون صادقاً فيما يقول مخلصاً فيما يدعو.

الشاكر العليم

ورد اسم الله (الشاكر) منوناً بالضم والفتح مرتين في كتاب الله العزيز، واقترن باسم الله (العليم).

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (البقرة).

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ (النساء).

في التفسير:

(الشاكر) من أسماء الله عز وجل، وهو الذي يقبل من عباده اليسير ويجازيهم عليه بالعظيم.

الذي إذا قام عبده بأوامره أعانه على ذلك، وأثنى عليه ومدحه، وجازاه في قلبه نوراً وإيماناً وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطاً، وفي جميع أحواله زيادة وبركة ونماء. وفي الآخرة ثواباً جزيلاً ونعيماً مقيماً تاماً.

ومن شُكر الله لعبده، أنه إن ترك شيئاً لله عز وجل، عوَّضه الله خيراً منه، ومن تقرّب إليه شبراً، تقرّب إليه ذراعاً، ومن تقرّب إليه ذراعاً، تقرّب إليه باعاً.

و(من) في آية سورة البقرة شرطية بدليل الفاء في جوابها. وقوله:

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ دليل الجواب إذ التقدير ومن تطوع خيراً جوزي به لأن الله (شاكر) أي لا يضيع أجر محسن، عليم لا يخفى عنه إحسانه، وذكر الوصفين لأن ترك الثواب عن الإحسان لا يكون إلاّ عن جحود للفضيلة أو جهل بها فلذلك نفيا بقوله: ﴿شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ مجاز لعبده بعمله ﴿عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ بنيته. والشكر من الله تعالى أن يعطي لعبده فوق ما يستحق. يقبل اليسير ويعطي الكثير.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ فاعلم أن الشاكر في اللغة هو المظهر للإنعام عليه، وفي حقه تعالى معناه المجازي على الطاعة: وإنما سمي المجازاة على الطاعة شكراً لوجوه.

الأول: أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مبالغة في الإحسان إليهم، كما قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (البقرة: ٢٤٥) وهو تعالى لا يستقرض من عوض، ولكنه تلطف في الاستدعاء كأنه قيل: من ذا الذي يعمل عمل المقرض بأن يقدم فيأخذ أضعاف ما قدم.

الثاني: أن الشكر لما كان مقابلاً الإنعام أو الجزاء عليه سمي كل ما كان جزاء شكراً على سبيل التشبيه.

الثالث: كأنه يقول: أنا وإن كنت غنياً عن طاعتك إلا أني أجعل لها من الموقع بحيث لو صح على أن أنتفع بها لما ازداد وقعه على ماحصل وبالجملة فالمقصود بيان أن طاعة العبد مقبولة عند الله تعالى وواقعة موقع القبول في أقصى الدرجات.

أما قوله: ﴿**عليم**﴾ فالمعنى أنه يعلم قدر الجزاء فلا يبخس المستحق حقه لأنه تعالى عالم بقدره وعالم بما يزيد عليه من التفضل، وهو أليق بالكلام ليكون لقوله تعالى ﴿**عليم**﴾ تعلق بشاكر ويحتمل أنه يريد أنه عليم بما يأتي العبد فيقوم بحقه من العبادة والإخلاص وما يفعله لا على هذا الحد، وذلك ترغيب في أداء ما يجب على شروطه، وتحذير من خلاف ذلك.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ أي والله شاكر عليم، ومعنى كونه شاكراً أنه مادح للعبد ومشهد عليه فيما يفعله لأن حقيقة الشكر وحدَّه الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فالعبد يشكر الله أي يثني عليه بذكر إحسانه إليه الذي هو نعمته عليه، والربُّ يشكر للعبد أن يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو طاعته له، فإن الله يثني عليه بما يفعله من الطاعة مع علمه بأن له ذنوباً كثيرة.

واقترن (الشاكر) بـ(العليم) لأن شكر الله عز وجل للعبد قائم على علمه بكل أحواله الظاهرة والباطنة.... فيعلم عز وجل من يستحق (الشكر) ومن لا يستحقه فلا مجال للعبد في تعامله مع (الشاكر العليم)، إلا أن يتَّبع ويخلص في عمله كله... وإلا فلا شكر من الله له.. فهو سبحانه (الشاكر العليم).

شكور حليم

اقترن اسم الله (الشكور) بـ(الحليم) في آية واحدة من كتاب الله العزيز:

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ (التغابن).

في التفسير:

﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

شُكر الله لعبده هو مجازاته له بالأجر الجزيل على العمل القليل.

وقوله: ﴿حَلِيمٌ﴾ أي لا يعجل بالعقوبة، بل يستر ويتجاوز عن الذنوب.

والله تعالى شكور يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه الكثير من الأجر، ويشكر تعالى لمن تحمل من أجله المشاق والأثقال، وناء بالتكاليف الثقال، ومن ترك شيئاً لله، عوَّضه الله خيراً منه.

﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ ذو شكر لأهل الإنفاق في سبيله، بحسن الجزاء لهم على ما أنفقوا في الدنيا في سبيله ﴿حَلِيمٌ﴾ عن أهل معاصيه بترك معاجلتهم بعقوبته.

في أضواء البيان: قال الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه، قد بين تعالى أنه يضاعف الإنفاق سبعمائة إلى أكثر بقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ

أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ (البقرة: ٢٦١)، إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ (البقرة: ٢٦١).

وأصل القرض في اللغة: القطع وفي الشرع قطع جزء من المال يعطيه لمن ينتفع به ثم يرده، أي أن الله تعالى يرد أضعافاً، وقد سمى معاملته مع عبيده قرضاً وبيعاً وشراء وتجارة.

ومعنى ذلك كله أن العبد يعمل لوجه الله والله جل وعلا يعطيه ثواب ذلك العمل، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ (التغابن: ١٧).

وقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ (التوبة: ١١١).

وقوله: ﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم﴾ (التوبة: ١١١).

وقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ﴾ (الصف: ١٠ - ١١) الآية، مع قوله تعالى: ﴿تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ (فاطر).

والقرض الحسن هو ما يكون من الكسب الطيب خالصاً لوجه الله.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

قال الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه شُكر الله لعبده هو مجازاته له بالأجر الجزيل على العمل القليل.

وقوله: ﴿حَلِيمٌ﴾ أي لا يعجل بالعقوبة بل يستر ويتجاوز عن ذنوب.

ومجيء هذا التذييل هنا يشعر بالتوجيه في بعض نواحي إصلاح الأسرة، وهو أن يقبل كل من الزوجين عمل الآخر بشكر، ويقابل كل إساءة بحلم ليتم معنى حسن العشرة، ولأن الإنفاق يستحق المقابلة بالشكر والعداوة تقابل بالحلم. (إشارة إلى الآية (١٤) من سورة التغابن)

في اللغة:

(شكر) الشكر عرفان الإحسان ونشره، قال ثعلب: الشكر لا يكون إلا عن يد، والحمد يكون عن يد، وعن غير يد، فهذا الفرق بينهما، والشكر من الله المجازاة والثناء الجميل، شكره وشكر له يشكر شكراً وشكوراً.

و(الشكور) صيغة مبالغة من الشكر، فالله (شاكر) و(شكور).

ويلاحظ أن الله سبحانه ختم آية العبادة (الطواف) بـ (شاكر عليم) وآية الإنفاق بصيغة المبالغة (شكور حليم) وذلك أن الطاعات الحسنة بعشر أمثالها أما النفقة الطيبة فثوابها إلى سبعمائة ضعف فأتى بصيغة المبالغة (شكور).

إن اقتران (**الشكور الحليم**) يدفع العبد إلى المسارعة في الإنفاق لوجه الله رجاء المضاعفات العظيمة من (**الشكور**) وهما من الصفات التي يرغبنا الله أن نتخلق بها... فنعرف لأهل الفضل فضلهم علينا ولأهل الإساء حلمنا عليهم... سبحانه هو (**الشكور الحليم**).

العزيز الحكيم

ورد اسم الله (العزيز) سبعاً وثمانين (٨٧) مـرة، في كتاب الله الكريم.

اقترن بـ(الحكيم) سبعاً وأربعين (٤٧) مرة.

واقترن بـ(الرحيم) ثلاث عشرة (١٣) مرة.

واقترن بـ(القوي) سبع (٧) مرات، أتى بعده.

واقترن بـ(العليم) ست (٦) مرات.

واقترن بـ(الغفار) ثلاث (٣) مرات.

واقترن بـ(الحميد) ثلاث (٣) مرات.

واقترن بـ(الغفور) مرتين.

واقترن بـ(ذي انتقام) ثلاث مـرات، «صفة لله عز وجل وليس من الأسماء الحسنى».

واقترن بـ(الوهاب) مرة واحدة.

واقترن بـ(المقتدر) مرة واحدة.

وانفرد مرة واحدة.

ويلاحظ أن اسم الله العزيز كان أولاً مع جميع هذه الأسماء عدا (القوي)، أتى معه ثانياً.

و(الحكيم) هو أكثر اسم اقترن بـ(العزيز) ومن الآيات التي اقترن فيها الاسمان:

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (البقرة).

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ (آل عمران).

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ (آل عمران).

﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (المائدة).

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ (إبراهيم).

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (النحل).

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ (النمل).

﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (العنكبوت).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ (لقمان).

﴿قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ (سبأ).

﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ (فاطر).

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ (الشورى).

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ (الجاثية).

﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ (البقرة).

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾﴾ (المائدة).

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿١٠﴾﴾ (الأنفال).

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾ (التوبة).

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (لقمان).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (النساء).

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ (النساء).

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (النساء).

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾ (الفتح).

﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾ (الفتح).

في تفسير الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

(**العزيز**): له ثلاثة معانٍ: عزة قدر، وعزة قهر، وعزة امتناع، فعزة القدر - أي أنه عز وجل عظيم القدر - لقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الزمر) الآية، أما عزة القهر فمعناها الغلبة - أي أنه سبحانه وتعالى غالب لا يغلبه شيء -، وهذا أظهر معانيها، وأما عزة الامتناع فمعناها أنه يمتنع أن يناله السوء -

مأخوذ من قولهم: «أرض عزاز» أي قوية صلبة لا تؤثر فيها الأقدام -، وأما «الحكيم» أي ذو الحكم، والحكمة.

و(**الحكيم**) يكون حاكماً وحكيماً.. بما يقترن به.. وتختلف مناسبة ختام آيات الكتاب بهذين الاسمين من أسماء الله الحسنى (**العزيز الحكيم**).

ففي دعاء إبراهيم يلجأ عليه السلام إلى (العزيز الحكيم) تعظيماً وإجلالاً، وآيات أخرى تختم بهذين الاسمين تهديداً ووعيداً لمن يعرض عن الحق، فإن من الحكمة عقاب المعرضين.

وفي آيات أخرى أنه سبحانه عز.. فحكم.

يقول السعدي: (وختم الآية بهذين الاسمين العظيمين الدالين على كمال العزة وكمال الحكمة لأن هذه أحكام صدرت عن عزته ودلت على كمال حكمته حيث وضعها في مواضعها اللائقة بها)، وينبغي الإشارة إلى الآية (١١٨) من سورة المائدة، مخبراً الله عز وجل عن عيسى - عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.

وذلك أن المرء قد يظن أن يكون قول عيسى كقول إبراهيم - عليه السلام - ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ (إبراهيم).

لم يطلب عيسى - عليه السلام - المغفرة لهم، ذلك أنهم أشركوا بالله

وكفروا به بأن ألّهوا عيسى ـ عليه السلام ـ وأمه الصدّيقة مريم.. وإنما أقصى ما استطاع أن يفعل هو أن يفوّض الأمر لله عز وجل.

جاء في تفسير السعدي: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ وأنت أرحم بهم من أنفسهم، وأعلم بأحوالهم فلولا أنهم عباد متمردون لم تعذبهم ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ أي فمغفرتك صادرة عن تمام عزة وقدرة لا كمن يغفر ويعفو عن عجز وعدم قدرة، الحكيم حيث كان مقتضى حكمتك أن تغفر لمن جاء بأسباب المغفرة.

وفي تفسير الرازي:

﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ والعزيز: هو القادر الذي لا يغلب، والحكيم هو العالم الذي لا يجهل شيئاً، وإذا كان عالماً قادراً كان ما يفعله صواباً ومبرأ عن العبث والسفه، ولولا كونه كذلك لما صح منه إجابة الدعاء ولا بعثة الرسل، ولا إنزل الكتاب.

أما قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فالعزيز إشارة إلى كمال القدرة، والحكيم إشارة إلى كمال العلم، وهما الصفتان اللتان يمتنع حصول الإلهية إلا معهما لأن كونه قائماً بالقسط لا يتم إلا إذا كان عالماً بمقادير الحاجات، وكان قادراً على تحصيل المهمات، وقدَّم العزيز على الحكيم في الذكر، لأن العلم بكونه تعالى قادراً متقدم على العلم بكونه عالماً في طريق المعرفة الاستدلالية، فلما كان مقدماً في المعرفة الاستدلالية، وكان هذا الخطاب مع المستدلين، لا جرم قدم تعالى ذكر العزيز على الحكيم.

ثم قال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ فيه إشارة إلى الجواب عن شبهات النصارى، وذلك لأن اعتمادهم على أمرين أحدهما: أنه قدر على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فكأنه تعالى قال: هذا القدر من القدرة لا يكفي في الإلهية، بل لا بد وأن يكون عزيزاً غالباً لا يدفع ولا يمنع، وأنتم قد اعترفتم بأن عيسى ما كان كذلك، وكيف وأنتم تقولون إن اليهود قتلوه؟ والثاني: أنهم قالوا: إنه كان يخبر عن الغيوب وغيرها، فيكون إلهاً، فكأنه تعالى قال: هذا القدر من العلم لا يكفي في الإلهية، بل لا بد وأن يكون حكيماً، أي عالماً بجميع المعلومات وبجميع عواقب الأمور، فذكر ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ههنا إشارة إلى الجواب عن هاتين الشبهتين ونظير هذه الآية ما ذكره تعالى في أول السورة من قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ (آل عمران).

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ﴾ والغرض منه أن يكون توكلهم على الله لا على الملائكة وهذا تنبيه على أن إيمان العبد لا يكمل إلا عند الإعراض عن الأسباب والإقبال بالكلية على مسبب الأسباب.

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ إن قوله تعالى: ﴿وهو أهون عليه﴾ يفهم منه أمران أحدهما: هو ما يكون في الآخر تعب كما يقال إن نقل الخفيف أهون من نقل الثقيل والآخر: هو ما ذكرنا من الأولوية من غير لزوم تعب في الآخر، فقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ إشارة إلى أن كونه أهون بالمعنى الثاني لا يفهم منه الأول.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: المثل الأعلى أي الصفة العليا

وهي (لا إله إلا الله)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي كامل القدرة على الممكنات، شامل العلم بجميع الموجودات، فيعلم الأجزاء في الأمكنة ويقدر على جمعها وتأليفها.

﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وإنما ذكروا في دعائهم هذين الوصفين لأنه لو لم يكن عزيزاً بل كان بحيث يغلب ويمنع لما صح وقوع المطلوب منه، ولو لم يكن حكيماً لما حصل هذا المطلوب على وفق الحكمة والمصلحة، ولـمَّا ذكر أن هذا الكتاب حصل بالوحي بيّنَ من الموحي: فقال إنه هو العزيز الحكيم.

واعلم أن قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ يدل على أن العزيز ليس إلا هو لأن هذه الصيغة تفيد الحصر، يقال: زيد هو العالم لا غيره، فهذا يقتضي أنه لا إله إلا الواحد، لأن غيره ليس بعزيز ولا حكيم وما لا يكون كذلك لا يكون إلهاً.

وفي آيات الأحكام التي تختم بـ(**العزيز الحكيم**) تعني أنه سبحانه (**عز**).. (**فحكم**).. كما في آيات قطع يد السارق والسارقة.

عندما تقرأ كتاب الله تدبر الآيات التي تختم بهذين الاسمين من الأسماء الحسنى (**العزيز الحكيم**) تجد الجمال في اقترانهما... سبحانه هو (**العزيز الحكيم**).

العزيز الحميد

ورد اسم الله (الحميد) سبع عشرة (١٧) مرة في كتاب الله، واقترن بـ(الغني) عشر (١٠) مرات، وبـ(العزيز) ثلاث (٣) مرات، وبـ(الحكيم) و(الولي) و(المجيد) مرة لكل اسم، وانفرد مرة واحدة، وكان دائماً الاسم الثاني عدا مع (المجيد) فقد أتى قبله (الحميد المجيد).

والآيات التي ورد فيها (العزيز الحميد) هي:

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ (إبراهيم).

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦﴾ (سبأ).

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾ (البروج).

(الحمد) هو الثناء والمدح، وعكسه الذم، و(الحميد) فعيل بمعنى مفعول، فالله عز وجل (محمود)، ومثني عليه، وممدوح في السماوات والأرض وكل شيء يسبح بحمده (أي بالثناء عليه).

وفي التفسير:

﴿**العزيز**﴾ إشارة إلى كمال القدرة، وقوله: ﴿**الحميد**﴾ إشارة إلى كونه مستحقاً للحمد في كل أفعال، وذلك إنما يحصل إذا كان عالماً بالكل غنياً

عن الكل فثبت بما ذكرنا أن صراط الله إنما كان موصوفاً بكونه شريفاً رفيعاً عالياً لكونه صراطاً مستقيماً للإله الموصوف بكونه عزيزاً حميداً، فلهذا المعنى: وصف الله نفسه بهذين الوصفين في هذا المقام.

قدم ذكر العزيز على ذكر الحميد، لأن الصحيح أن أول العلم بالله العلم بكونه تعالى قادراً، ثم بعد ذلك العلم بكونه عالماً، ثم بعد ذلك العلم بكونه غنياً عن الحاجات، والعزيز هو القادر والحميد هو العالم الغني، فلما كان العلم بكونه تعالى قادراً متقدماً على العلم بكونه عالماً بالكل غنياً عن الكل لا جرم قدم الله ذكر العزيز على ذكر الحميد، والله أعلم.

وتحقيق القول فيه: أنا بينا أن الصراط إنما يكون ممدوحاً محموداً إذا كان صراطاً للعالم القادر الغني والله تعالى عبر عن هذه الأمور الثلاثة بقوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ ثم لما ذكر هذا المعنى وقعت الشبهة في أن ذلك العزيز من هو؟ فعطف عليها قوله: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إزالة لتلك الشبهة.

وقوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ يفيد رغبة ورهبة، فإنه إذا كان عزيزاً يكون ذا انتقام ينتقم من الذي يسعى في التكذيب، وإذا كان حميداً يشكر سعي من يصدق ويعمل صالحاً، فإن قيل كيف قدم الصفة التي للهيبة على الصفة التي للرحمة مع أنك أبداً تسعى في بيان تقديم جانب الرحمة؟ نقول كونه عزيزاً تام الهيبة شديد الانتقام يقوي جانب الرغبة لأن رضا الجبار العزيز أعز وأكرم من رضا من لا يكون كذلك، فالعزة كما تخوّف ترجي أيضاً، وكما ترغب عن التكذيب ترغب في التصديق ليحصل القرب من العزيز.

الآية دالة على أن طرق الكفر والبدعة كثيرة وأن طريق الخير ليس إلا واحد، لأنه تعالى قال: ﴿**لتخرج الناس من الظلمات إلى النور**﴾ فعبر عن الجهل والكفر بالظلمات، وهي صيغة جمع وعبر عن الإيمان والهداية بالنور وهو لفظ مفرد، وذلك يدل على أن طرق الجهل كثيرة، وأما طريق العلم والإيمان فليس إلا واحد.

وفي سورة البروج: ﴿**وما نقموا منهم**﴾ أي: وما عابوا منهم وأنكروا عليهم، يقال: نقم بالفتح والكسر: عاب، أي: عابوا منهم ﴿**إلا أن يؤمنوا بالله**﴾ عبّر بلفظ المضارع، ولم يقل: إلاَّ أن آمنوا، مع أنَّ القصة قد وقعت، لإفادة أن التعذيب إنما كان دوامهم على الإيمان، ولو كفروا بالرجوع عن الإيمان في المستقبل لم يعذبوهم. وقوله تعالى: ﴿**العزيز الحميد**﴾، ذكر الأوصاف الذي يستحق بها أن يؤمن به، وهو كونه عزيزاً غالباً قادراً، يُخشى عقابه، حميداً منعماً، يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه، ليقرر أن وصف الإيمان الذي عابوا منهم وصف عظيم، له جلاله، وأن من رام صاحبه بالانتقام والعيب كان مبطلاً مبالغاً في الغي، يستحق أن ينتقم منه بعذاب لا يقادر قدره.

في اقتران (العزيز الحميد) بعد ذكر الصراط إشارة إلى عز سالكه وتحمد عاقبته.

واقتران (العزيز الحميد) يجعل العبد يؤمن رغبة ورهبة، وكذلك يخوف المعاندين مع إبقاء الباب مفتوحاً لهم ليعودوا، فهو (العزيز الحميد) سبحانه وتعالى.

العزيز الرحيم

اقترن (الرحيم) بـ(العزيز) ثلاث عشرة (١٣) مرة: تسع منها في سورة الشعراء.

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الشعراء: ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ (الشعراء).

﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ (الروم).

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ (السجدة).

﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ ﴾ (يس).

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الدخان).

تبدأ سورة الشعراء بذكر حال النبي ﷺ:

﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (الشعراء).

ثم يذكر الله عز وجل إهلاك من كذّب موسى، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب... وفي ختام كل قصة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾.

فهو سبحانه العزيز الذي أهلك أعداء الرسل، والرحيم الذي نجَّى رسله.. وذكر من أسمائه (الرب).. ونسبه إلى الرسول ﷺ.

وفي سورة الروم يذكر الله انتصار الروم على الفرس وفرحة المؤمنين بنصرة أهل الكتاب على الكفار.

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾.

وفي سورة السجدة، يقول تعالى بعد أن ذكر خلق السماوات والأرض واستوائه على العرش، وأن الخلق لا ولي لهم ولا شفيع من دونه وتدبيره لأمر السماوات والأرض... ﴿ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾، فهو على عزته وغلبته، رحيم بعباده.

قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم، لأنه لو لم يقدمه لكان ربما قيل إنه رحمهم لعجزه عن عقوبتهم، فأزال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعاً.

والمراد أنهم مع كفرهم وقدرة الله على أن يعجل عقابهم لا يترك رحمتهم بما تقدم ذكره من خلق كل زوج كريم من النبات، ثم من إعطاء الصحة والعقل والهداية.

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تعلقه بما قبله أن القوم مع مشاهدة هذه الآية الباهرة كفروا، ثم إنه تعالى كان عزيزاً قادراً على أن يهلكهم، ثم إنه تعالى ما أهلكهم بل أفاض عليهم أنواع رحمته فدل ذلك على كمال رحمته وسعة جوده وفضله.

إن ربنا رب (**عزيز**).. على الإطلاق له كمال العزة دائماً.. غالب ممتنع.. وهو رب (**رحيم**) مع عزته.. يعامل بعض عباده بالعزة والغلبة.. ويعامل آخرين بالرحمة.. واقتران هذين الاسمين يعطى كمالاً جديداً فالعزة والرحمة مقترنان... مما يورث الرهبة والرغبة والخوف والرجاء في قلوب العباد لمن تدبر وتفكر بهذين الاسمين (**العزيز الرحيم**) سبحانه وتعالى.

العزيز العليم

اقترن هذان الاسمان لله عز وجل في كتاب الله ست (٦) مرات..

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ (الأنعام).

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾ (النمل).

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ (يس).

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ (غافر).

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ (فصلت).

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ (الزخرف).

في التفسير:

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ (فصلت)، فكان مقتضى هذا الإخبار، وموجب هذا التقدير من العزيز العليم، أن يصدقوا أو أن يؤمنوا. وهذا من خصائص كل إخبار يكون مقطوعاً بصدقه، وكان لقوة صدقه ملزم لسامعه، ولا يبالي قائله بقبول السامع له أو إعراضه عنه.

ولذا، قال تعالى بعد ذلك مباشرة: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ أي بعد إعلامهم بذلك كله، فلا عليك منهم: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ (فصلت).

﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ الذي قهرهما بعزته، وسيرهما على ذلك السير البديع بعلمه وحكمته.

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ أي: هذا تنزيل القرآن ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ أي: العزيز بسلطانه، الغالب على أمره، العليم بمن صدّق به وكذّب. وهو تهديد للمشركين، وبشارة للمؤمنين، والتعرُّض لوصفي العزة والعلم للإيذان بظهور أثرهما في الكتاب، لظهور عزه وعز من تمسّك به، ولاشتماله على علوم الأولين والآخرين.

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ أي: ذلك الذي ذكر تفصيله تقدير البالغ في القدرة والعلم، أو: الغالب العليم بمواقع الأمور.

قول الحق جل جلاله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي: المشركين ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ أي: ينسبون خلقها إلى من هذا وصفه.

واختار هذين الوصفين للإيذان بانفراده بالإبداع والاختراع والتدبير، لأن العزة تُؤذن بالغلبة والاقتدار، والعلم يؤذن بالتدبير والاختيار، وليُرتب عليه ما يناسبه من الأوصاف.

﴿ذَٰلِكَ﴾ التقديرالمذكور ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ الذي من عزته انقادت له هذه المخلوقات العظيمة، فجرت مذللة مسخرة بأمره، بحيث لا تتعدى ما حده الله لها، لا تتقدم عنه ولا تتأخر ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ الذي أحاط علمه، بالظواهر والبواطن، والأوائل والأواخر.

ومن الأدلة العقلية على إحاطة علمه، تسخير هذه المخلوقات العظيمة، على تقدير، ونظام بديع، تتحيّر العقول في حسنه وكماله، وموافقته للمصالح والحكم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٨﴾ (النمل).

أي: إن الله تعالى سيفصل بين المختصمين وسيحكم بين المختلفين بحكمه العدل وقضائه القسط، فالأمور وإن حصل فيها اشتباه في الدنيا بين المختلفين لخفاء الدليل أو لبعض المقاصد، فإنه سيبين فيها الحق المطابق للواقع حين يحكم الله فيها: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي قهر الخلائق فأذعنوا له، ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بجميع الأشياء، ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بأقوال المختلفين، وعن ماذا صدرت وعن غاياتها ومقاصدها وسيجازي كلاً بما علمه فيه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور، من الأرض وما فيها، والسماء وما فيها ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ الذي عزته، قهر بها الأشياء ودبرها، وخلق بها المخلوقات، ﴿ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ الذي أحاط علمه بالمخلوقات، الغائب والشاهد.

إن ربك يقضي بين المختلفين بحكمه فيهم، فينتقم من المبطل منهم، ويجازي المحسن منهم المحقّ بجزائه، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٨﴾ يقول:

وربك العزيز في انتقامه من المبطل، منهم ومن غيرهم، لا يقدر أحد على منعه من الانتقام منه.

(ٱلْعَلِيمُ) سبحانه وتعالى علم كل شيء علماً كاملاً قبل أن يكون أي شيء، فعلمه كامل لا يطرأ عليه شيء جديد... أحاط علمه بكل شيء ما كان وما لم يكن لو كان كيف يكون.

(عليم) فعيل من أبنية المبالغة.

إن اقتران هذين الاسمين (ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ) في مواضع بيان عزة الله وإحاطته بالمخلوقات العظيمة مثل السماوات والأرض والشمس والنجوم... وأيضاً في موضع تنزيل الكتاب... دعوة للعبد أن يخضع لله كما خضع ما هو أعظم منه وأن يتبع ما جاء في هذا الكتاب... وإلا فإنه سيقف بين يدي (ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ) ذات يوم ولا يلومن إلا نفسه في ذلك الموضع... سبحان الله (ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ).

العزيز الغفار

ورد اسم الله (الغفار) خمس (٥) مرات في كتاب الله، اقترن في ثلاث منها بـ(العزيز)، وانفرد مرتين، والآيات هي:

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ (ص).

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾ (الزمر).

﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾ (غافر).

﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾﴾ (نوح)

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ (طه)

(غفر) غطى، و(الغفر) الستر والتغطية، و(الغفار) فعَّال كثير المغفرة.

والعبد إذا طلب المغفرة (استغفر) غفر الله له.. ومن لم يستغفر فإنه له أمل في مغفرة ذنوبه ما لم تكن شركاً بالله، لأنه يتعامل مع (الغفار) سبحانه وتعالى.

وقيل: الفرق بين (الغفور) و(الغفار)... أن (الغفار) أبلغ، وقيل (الغفور) يغفر الذنوب العظام.. و(الغفار) يغفر الذنوب الكثيرة.. وقيل العكس، الغفور للكيف، والغفّار للكم.

التفسير:

﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغالب، القاهر لكل شيء، الذي لا يستعصي عليه شيء، الذي من عزته أوجد هذه المخلوقات العظيمة، وسخرها تجري بأمره. ﴿ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾ لذنوب عباده التوابين المؤمنين.

(ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ): العزيز في نقمته من أهل الكفر به، المدّعين معه إلهاً غيره، الغفَّار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه، فأناب إلى الإيمان به، والطاعة له بالانتهاء إلى أمره ونهيه.

إن الله الذي فعل هذه الأفعال وأنعم على خلقه هذه النعم هو العزيز في انتقامه ممن عاداه، الغفَّار لذنوب عباده التائبين إليه منها بعفوه لهم عنها.

﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾: وأنا أدعوكم إلى عبادة العزيز في انتقامه ممن كفر به، الذي لا يمنعه إذا انتقم من عدوّ له شيء، الغفَّار لمن تاب إليه بعد معصيته إياه، لعفوه عنه، فلا يضرّه شيء مع عفوه عنه، يقول: فهذا الذي هذه صفته فاعبدوه، لا ما لا ضرّ عنده ولا نفع.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾.

إعلم أن كونه سبحانه قهاراً مشعراً بالترهيب والتخويف، فلما ذكر ذلك أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ فكونه رباً مشعراً بالتربية والإحسان والكرم

والجود، وكون غفاراً مشعراً بالترغيب، وهو الذي تجب عبادته، لأنه هو الذي يُخشى عقابه ويُرجى فضله وثوابه، ونذكر طريقة أخرى في تفسير هذه الآيات، فنقول إنه تعالى ذكر من صفاته في هذا الموضع خمسة: الواحد والقهار، والرب، والعزيز، والغفار، أما كونه واحداً فهو الذي وقع الخلاف فيه بين أهل الحق وبين المشركين واستدل تعالى على كونه واحداً بكونه قهاراً وقد بينا وجه هذه الدلالة إلا أن كونه قهاراً وإن دل على إثبات الوحدانية إلا أنه يوجب الخوف الشديد فأردفه تعالى بذكر صفات ثلاثة دالة على الرحمة والفضل والكرم.

هذان الاسمان يورثان الطريقة الصحيحة للتعامل مع الله حال الذنوب الخوف من العزيز، واللجوء إلى الغفار، وهكذا ينبغي أن يكون حال العبد في الدنيا، وتقدم (العزيز) ليغلب الخوف.. ولكن دون قنوط من المغفرة لأنه سبحانه (العزيز الغفار).

العزيز الغفور

اقترن اسم الله (العزيز) بـ(الغفور) مرتين في كتاب الله:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ (تبارك).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ (فاطر).

(العزيز) هو الممتنع فلا يغلبه شيء، وهو الغالب سبحانه وتعالى، وهو الذي لا مثل له.. وهو مصدر العزة لمن أرادها.. ومن بحث عن العزة عند غير الله لم ينلها.

في التفسير:

قال عطاء عن ابن عباس: يريد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة.

وقال قتادة: أراد موت الإنسان وحياته في الدنيا جعل الله الدنيا دار عمل وفناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء.

قيل إنما قدم الموت لأنه إلى القهر أقرب: وقيل: قدمه لأنه أقدم لأن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما ثم اعترضت عليها الحياة.

واعلم أن كونه ﴿عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ لا يتم إلا بعد كونه قادراً على كل المقدورات عالماً بكل المعلومات أما أنه لا بد من القدرة التامة، فلأجل أن

يتمكن من إيصال جزاء كل أحد بتمامه إليه سواء كان عقاباً أو ثواباً، وأما أنه لا بد من العلم التام فلأجل أن يعلم المطيع والعاصي فلا يقع الخطأ في إيصال الحق إلى مستحقه، فثبت أن كونه عزيزاً غفوراً لا يمكن ثبوتها إلا بعد ثبوت القدرة التامة والعلم التام، فلهذا السبب ذكر الله دليل ثبوت هاتين الصفتين في هذا المقام، ولما كان العلم بكونه تعالى قادراً متقدماً علىالعلم بكونه عالماً، لا جرم ذكر أولاً دلائل القدرة وثانياً دلائل العلم.

أما دليل القدرة فهو قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ﴾.

وأما دليل العلم فهو قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾.

﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾ (الملك)، ثم لأجل إثبات هذا المطلوب، ذكر وجوهاً من الدلائل على قدرته، ثم ختمها بقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ ولما كانت القدرة على الخلق ابتداء توجب القدرة على الإعادة لا جرم قال بعده: ﴿وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤﴾ فبين بهذا أن جميع ما تقدم ذكره من الدلائل إنما كان لإثبات هذا المطلوب.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي له العزة كلها، التي قهر بها جميع الأشياء، وانقادت له المخلوقات.

﴿ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾ عن المسيئين والمقصّرين والمذنبين، خصوصاً إذا تابوا وأنابوا، فإنه يغفر ذنوبهم، ولو بلغت عنان السماء، ويستر عيوبهم، ولو كانت ملء الدنيا.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: وهو القويّ الشديد انتقامه ممن عصاه، وخالف أمره ﴿ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾ ذنوب من أناب إليه وتاب من ذنوبه.

فمن آمن بـ(العزيز الغفور) خافه ولجأ إليه واستغفره لذنبه... فيجمع بين الخوف والرجاء إيماناً بهذين الاسمين.

العزيز المقتدر

ورد اسم الله (المقتدر) ثلاث مرات في كتاب الله، واقترن بـ(العزيز)، وبـ(الملك)... وانفرد مرة واحدة في سورة الكهف..

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ (القمر).

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ إشارة إلى أنهم كانوا كالآبقين أو إلى أنهم عاصون يقال: أخذ الأمير فلاناً إذا حبسه، وفي قوله: ﴿عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، لطيفة وهي أن العزيز المراد منه الغالب لكن العزيز قد يكون «الذي» يغلب على العدو ويظفر به وفي الأول يكون غير متمكن من أخذه لبعده إن كان هارباً ولمنعته إن كان محارباً، فقال أحد غالب لم يكن عاجزاً وإنما كان ممهلاً.

تضمنت هاتان الآيتان ثلاثة أمور:

الأول: أن آل فرعون جاءتهم النذر.

الثاني: أنهم كذبوا بآيات الله.

الثالث: أن الله أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وفي تفسير ابن عثيمين: وإنما ذكر الله تعالى أنه أخذهم ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ لأن فرعون كان متكبراً، وكان يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾، وكان يسخر من موسى ومن أرسله، فناسب أن يذكر الله تعالى أخذه أخذ عزيز مقتدر، وقد أجمل الله تعالى هذه القصة في هذه الآية، ولكنه بينها في آيات

كثيرة، وأن أخذهم كان بإغراقهم في البحر، فأغرقه الله ـ عز وجل ـ بمثل ما كان يفتخر به، لأنه كان يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ (الزخرف).

(المقتدر): على وزن مفتعل من (**القدرة**).. وهو أبلغ من (**قادر**) و(**قدير**) يملك القدرة المطلقة كمًّا وكيفاً ولذلك اقترن بـ(**العزيز**)... فله سبحانه كمال العزة مع كمال القدرة.

واقتران الاسمين جاء في تحذير الكفار والمعاندين من التمادي، فإن الله ذكر الاسمين مقترنين في صياغ ذكر مآل آل فرعون، بعد أن كذَّبوا بآيات الله.. فأخذهم أخذ ﴿عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ ولا شك أنه أخذ شديد لا مفك منه... نسأل الله العافية.

العزيز الوهّاب

ورد اسم الله (الوهّاب) ثلاث (٣) مرات في كتاب الله عز وجل، اقترن بـ(العزيز) في موضع واحد، وانفرد في موضعين:

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ (ص).

(ٱلْوَهَّابِ) صيغة مبالغة على وزن فعَّال، و(الهبة) هي العطاء بلا عوض.

قال ابن منظور: (الهبة: العطية الخالية من الأعواض والأغراض، فإذا كثرت سمِّي صاحبها وهَّاباً وهي من أبنية المبالغة).

في التفسير

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ وتقرير هذا الجواب أن منصب النبوة منصب عظيم ودرجة عالية والقادر على هبتها يجب أن يكون عزيزاً أي كامل القدرة ووهاباً أي عظيم الجود وذلك هو الله سبحانه وتعالى، وإذا كان هو تعالى كامل القدرة وكامل الجود، لم يتوقف كونه واهباً لهذه النعمة على كون الموهوب غنياً أو فقيراً، ولم يختلف ذلك أيضاً بسبب أن أعداءه يحبونه أو يكرهونه.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ قيل: أم لهم هذا فيمنعوا محمداً عليه السلام مما أنعم الله عز وجل به عليه من النبوة و«أم» قد ترد بمعنى التقريع إذا كان الكلام متصلاً بكلام قبله كقوله تعالى:

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ (السجدة: ١ ـ ٣).

قوله: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ﴾ متصل بقوله: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤﴾، فالمعنى أن الله عز وجل يرسل من يشاء لأن خزائن السموات والأرض له.

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩﴾ أي: ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يُصيبوا بها من شاؤوا، ويصرفوها عمَّن شاؤوا، ويختاروا للنبوة بعض صناديدهم، ويترفَّعوا بها عن محمد ﷺ، وإنما يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه، الوهّاب الكثير الهبات، المصيب بها من يشاء. والمعنى: أن النبوة عطية من الله تعالى، يتفضّل بها على من يشاء من عباده المصطفين، لا مانع له، فإنه الغالب، الذي له أن يهب كل ما يشاء لكل من يشاء.

وتقديم الظرف لأنه محل الإنكار أي (بل أيملكون خزائن رحمته تعالى ويتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى أنهم يصيبون بها من شاؤوا ويصرفونها عمن شاؤوا ويتحكمون فيها بمقتضى رأيهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم).

وإضافة الرب إلى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف واللطف به عليه الصلاة والسلام، والعزيز القاهر على خلقه، والوهاب الكثير الهبات المصيب بها مواقعها، وحديث العزة والقهر يناسب ما كانوا عليه من ترفعهم بالنبوة عنه ﷺ تجبراً.

والمبالغة في الوهّاب من طريق الكمية تناسب قوله تعالى: ﴿خَزَآئِنُ﴾ وتدل على حرمان لهم عظيم، وفي ذلك إدماج أن النبوة ليست عطاء واحداً بالحقيقة بل يتضمن عطايا جمة تفوت الحصر وهي من طريق الكيفية المشار إليها بإصابة المواقع للدلالة على أن مستحق العطاء ومحله من وُهب ذلك وهو النبي ﷺ وفي الوصف المذكور أيضاً إشارة إلى أن النبوة موهبة ربانية.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾؟

ويندد بسوء أدبهم مع الله، وتدخلهم فيما ليس من شأن العبيد. والله يعطي من يشاء ويمنع من يريد. وهو العزيز القادر الذي لا يملك أحد أن يقف لإرادته.

وهو الوهاب الكريم الذي لا ينفد عطاؤه.

وهم يستكثرون على محمد صلى الله عليه وسلم أن يختاره الله. فبأي حق وبأية صفة يوزعون عطاء الله؟ وهم لا يملكون خزائن رحمته؟!

﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ أي الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء، ويفيض على جهة التفضل ما يشاء على من يريد، وله صفة الإفاضة متكررة الآثار على الدوام، فلا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى.

ولما سلب عنهم التصرف في الخزائن، أتبعه نفي الملك عما شاهدوا منها وهو جزء يسير جداً فقال: ﴿**أم لهم**﴾ أي خاصة ﴿**ملك السماوات والأرض**﴾ ولما كان الحكم على ذلك لا يستلزم الحكم على الفضاء قال: ﴿**وما بينهما**﴾ أي لتكون كلمتهم في هذا الكون هي النافذة ويتكلموا في الأمور الإلهية

ويسندوا ما شاؤوا من الأمور الجليلة إلى من شاؤوا؟ ثم بين عجزهم وبكتهم وقرعهم ووبخهم بما سبب عن ذلك من قوله: ﴿**فليرتقوا**﴾ أي يتكلفوا الرقي إن كان لهم ذلك ﴿**في الأسباب**﴾ أي الطرق الموصلة إلى السماء ليستووا على العرش الذي هو أمارة الملك فيدبروا العالم يخصوا من شاؤوا بالرسالة ليعلم أن لهم ذلك وأنه لا يسوغ لأحد أن يختص دونهم بشيء.

إن اقتران اسم الله «العزيز» باسم الله «الوهاب» ناسب بيان إثبات النبوة لمحمد ﷺ لمن أنكره وتعجب منه في أوائل سورة «ص»... بل هو توبيخ ورد شديد على كل من اعترض على نبوة أي أحد من الأنبياء والرسل... وعلى العموم إن كان هذه الهبة العظيمة «النبوة» لا يملكها إلا الله فما دون ذلك من باب أولى... فليتعلق قلبك يا عبدالله بـ«العزيز الوهاب»... واسأله مباشرة فإنه يهب ما شاء لمن شاء... ولا راد لعطائه سبحانه.

العفوّ الغفور

ورد اسم الله (العفوّ) خمس (٥) مرات في كتاب الله، اقترن بـ(الغفور) أربع (٤) مرات، واقترن بـ(القدير) مرة واحدة، وكان أول الاسمين دائماً.

والآيات التي ورد فيها الاسمان هي:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ (النساء).

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾ ﴾ (النساء).

﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الحج).

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٢﴾ ﴾ (المجادلة).

اللغة:

(**العفْو**): هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه مع استحقاق صاحبه العذاب وقدرة الآخر على إيقاع العقاب.. وأصله المحْوُ والطمس.

لذا قيل (العفو) أبلغ من (الغفر)... وذلك أن العفو عن الذنب (محوه) وإزالته.. و(غفر) الذنب تغطيته.. مع عدم العذاب في الحالتين.

في التفسير:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ كناية عن الترخيص والتيسير، لأن من كانت عادته أن يعفو عن الخطائين ويغفر لهم، آثر أن يكون ميسراً غير معسر.

﴿**فأولئك**﴾ يعني المستضعفين وأهل الأعذار ﴿**عسى الله أن يعفو عنهم**﴾ يعني يتجاوز عنهم بفضله وإحسانه وعسى من الله واجب إطماع وترج والله تعالى إذا أطمع عبداً وصله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ قال ابن عباس: كنت أنا وأمي ممن عذر الله يعني من المستضعفين، وكان رسول الله ﷺ يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة.

ثم قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ ذكر الزجاج في ﴿**كان**﴾ ثلاثة أوجه: الأول: كان قبل أن يخلق الخلق موصوفاً بهذه الصفة. الثاني: أنه قال ﴿**كان**﴾ مع أن جميع العباد بهذه الصفة والمقصود بيان أن هذه سنة الله تعالى أجراها في حق خلقه. الثالث: لو قال: إنه تعالى عفو غفور كان هذا إخباراً عن كونه كذلك فقط، ولما قال إنه كان كذلك كان هذا إخباراً وقع مخبره على وفقه فكان ذلك أدل على كونه صدقاً وحقاً ومبرأ عن الخلف والكذب.

وأعقب ﴿**لعفو**﴾ بقوله: ﴿**غفور**﴾ في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ في معنى: أن الله عفا عنهم وغفر لهم لأنه عفوّ غفور، يغفر هذا وما هو أشد.

والعفوّ: الكثير العفو، والعفْو عدم المؤاخذة بالفعل أي عفا عن قولهم: الذي هو منكر وزور.

والغفور: الكثير الغفران، والغفران الصفح عن فاعل فعل ما من شأنه أن يعاقب عليه، فذكر وصف ﴿**غفور**﴾ بعد وصف ﴿**عفوّ**﴾ تتميماً لتمجيد

الله إذ لا ذنب في المظاهرة حيث لم يسبق فيها نهي.

وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ يدل على أن المظاهرة بعد نزول هذه الآية منهي عنها.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ فيه وجوه: أحدها: أن الله تعالى ندب المعاقِب إلى العفو عن الجاني بقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠)، ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (البقرة: ٢٣٧)، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ (الشورى)، فلما لم يأت بهذا المندوب فهو نوع إساءة، فكأنه سبحانه قال: إني قد عفوت عن هذه الإساءة وغفرتها، فإني أنا الذي أذنت لك فيه وثانيها: أنه سبحانه وإن ضمن له النصر على الباغي، لكنه عرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو والمغفرة فختم بذكر هاتين الصفتين. وثالثها: أنه سبحانه دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة، لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده.

إن اقتران (**العفوّ**) بـ(**الغفور**) بيان لصفتين من صفات الله عز وجل وهما محو الذنوب.. وسترها وعدم العقاب عليها مع قدرته سبحانه عز وجل... وهكذا ينبغي أن يكون خُلق المؤمنين فإن من إحصاء أسماء الله الحسنى أن يتخلق العبد بمكارم الأخلاق منها.. و(**العفو**) أولى من (**المغفرة**) ولذلك تقدم.

العفُوُّ القدير

ورد اسم الله (العفُوّ) خمس (٥) مرات في كتاب الله، واقترن بـ(القدير) مرة واحدة.

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ (النساء).

قوله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ دليل جواب الشرط، وهو علة له، وتقدير الجواب: يعفُ عنكم مع القدرة عليكم، كما أنكم فعلتم الخير جهراً وخفية وعفوتم عند المقدرة على الأخذ بحقكم، لأن المأذون فيه شرعاً يعتبر مقدوراً للمأذون، فجواب الشرط وعدٌ بالمغفرة لهم في بعض ما اقترفوه جزاء عن فعل الخير وعن العفو عمن اقترف ذنباً، فذكر ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تكملة لما اقتضاه قوله: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ استكمالاً لموجبات العفو عن السيئات، كما أفصح عنه قوله ﷺ: «**أتبع السيئة الحسنة تمحها**» (حسّنه الألباني).

وفي الحديث: «**يا عقبة بن عامر: صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك**» (السلسلة الصحيحة).

قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ أي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام، فعليكم بسنّة الله.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على

الانتقام فاعفوا أنتم عمن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعف عنكم يوم القيامة لأنه أهل للتجاوز والعفو عنكم، وقيل معناه إن الله كان عفواً لمن عفا قديراً على إيصال الثواب إليه.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ وفيه وجوه: الأول: أنه تعالى يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام، فعليكم أن تقتدوا بسنة الله تعالى وهو قول الحسن. الثاني: أن الله كان عفواً لمن عفا، قديراً على إيصال الثواب إليه. الثالث: قال الكلبي: إن الله تعالى أقدر على عفو ذنوبك منك على عفو صاحبك.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ (النساء)، فالجمع بين العفو والقدرة لها ميزة: أن عفوه غير مشوب بعجز إطلاقاً، لأن بعض الناس قد يعفو لعجز.

وفي هذه الآية إرشاد إلى معنى من معاني إحصاء أسماء الله الحسنى وهي التخلق بمكارم الأخلاق التي يعامل الله بها عباده ومنها العفو مع القدرة.. فهو عز وجل (العفو القدير).

العلي الحكيم

ورد اسم الله (الحكيم) في كتاب الله عز وجل سبعاً وثلاثين (٣٧) مرة، واقترن بـ(العلي) مرة واحدة.

وورد اسم الله (العلي) ثمان (٨) مرات، اقترن بـ(العظيم) مرتين وبـ(الكبير) خمس (٥) مرات، وبـ(الحكيم) مرة واحدة.

﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (الشورى).

في التفسير:

ختم الله عز وجل هذه الآية بـ ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ لمناسبتهما للغرض.. لأن (العلو) في صفة الله عز وجل علوّ مكان ومكانة وعلو ذات وعظمة فاقتضى هذا العلو المطلق لله عز وجل أن يكون وحيه بواسطة رسل (الملائكة) أو من وراء حجاب وما يوحي به فيه خير العباد لأنه سبحانه (الحكيم).

والله عز وجل (علي) الذات عظيمها (علي) الأفعال قد قهر كل شيء ودانت له المخلوقات، (حكيم) في وضعه كل شيء في موضعه.

والقول في موقع جملة ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ كالقول في جملة ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الشورى)، وإنما أوثر هنا صفة (العلي الحكيم) لمناسبتهما للغرض لأن العلوّ في صفة العليّ علوّ عظمة فائقة لا تناسبها النفوس البشرية فما كان لها أن تتلقى من الله مراده مباشرة فاقتضى

علوّه أن يكون توجيه خطابه إلى البشر بوسائط يفضي بعضها إلى بعض لأن ذلك كما يقول الحكماء: استفادة القابل من المبدأ تتوقف على المناسبة بينهما. وأما وصف (الحكيم) فلأن معناه المُتقن للصنع العالم بدقائقه وما خطابه البشر إلا لحكمة إصلاحهم ونظام عالمهم، وما وقوعه على تلك الكيفيات الثلاث إلا من أثر الحكمة لتيسير تلقّي خطابه، ووعيه دون اختلال فيه ولا خروج عن طاقة المتلقِّين.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ يعني: أعلى من أن يكلم أحداً في الدنيا مواجهة، ولا يراه فيها أحد عياناً ﴿حَكِيمٌ﴾ حكم ألا يكلم أحداً في المواجهة، ولا يراه أحد.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ يعني أنه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري أفعاله على موجب الحكمة، فيتكلم تارة بغير واسطة على سبيل الإلهام، وأخرى بإسماع الكلام، وثالثاً بتوسيط الملائكة الكرام، ولما بيَّن الله تعالى كيفية أقسام الوحي إلى الأنبياء عليهم السلام، قال: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾ والمراد به القرآن وسماه روحاً، لأنه يفيد الحياة من موت الجهل أو الكفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فجعل التكليم ثلاثة أنواع: الوحي المجرد، والتكليم من وراء حجاب كما كلم موسى ـ عليه السلام ـ والتكليم بواسطة إرسال الرسول كما كلم الرسل بإرسال الملائكة، وكما نبأنا الله من أخبار المنافقين بإرسال محمد ﷺ، والمسلمون متفقون على أن الله أمرهم بما أمرهم به في القرآن، ونهاهم عما نهاهم عنه في القرآن، وأخبرهم

بما أخبرهم به في القرآن، فأمره ونهيه وإخباره بواسطة الرسول، فهذا تكليم مقيد بالإرسال، وسماعنا لكلامه سماع مقيد بسماعه من المبلِّغ لا منه، وهذا القرآن كلام الله مبلغاً عنه مؤدى عنه، وموسى سمع كلامه مسموعاً منه لا مبلغاً عنه ولا مؤداً عنه».

إن اقتران الاسمين (العلي الحكيم) يوجب على العبد الانقياد لكل ما جاءه من الله عز وجل فهو سبحانه في علوه المطلق أنزل الشرائع لما فيه خير العباد فإنه سبحانه لا تنفعه طاعة الصالحين ولا تضره معصية المذنبين، ولكنه (العلي الحكيم) أوحى إلى الرسل ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم.

العلي العظيم

ورد اسم الله «العظيم» ست مرات في كتاب الله انفرد في ثلاث آيات:

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ (الواقعة).

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦﴾ (الواقعة).

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢﴾ (الحاقة).

واقترن باسم الله«العلي» ثلاث مرات، ولم يقترن بغيره من الأسماء الحسنى وأتى بعده.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ (البقرة).

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤﴾ (الشورى).

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤﴾ (الشورى).

في التفسير:

جملة ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ مقررة لوصفه ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾ (الشورى) لأ من كان ما في السماوات وما في الأرض ملكاً له تتحقق

له العزّة لقوة ملكوته، وتتحقق له الحكمة لأن الحكمة تقتضي خلقَ ما في السماوات والأرض وإتقانَ ذلك النظام الذي تسير به المخلوقات. ولكون هذه الجملة مقررةً معنى التي قبلها كانت بمنزلة التأكيد فلم تعطف عليها.

وجملة ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ عطف عليها مقررة لما قررته الجملة قبلها فإن من اتصف بالعلو والعظمة لو لم يكن عزيزاً لتخلف علوه وعظمته، ولا يكون إلا حكيماً لأن علوه يقتضي سموّه عن سفاسف الصفات والأفعال، ولو لم يكن عظيماً لتعلقت إرادته بسفاسف الأمور ولتنازل إلى عبث الفعال.

وأفادت صيغة الجملة معنى القصر، أي لا (عليّ) ولا (عظيم) غيره لأن من عداه لا يخلو عن افتقار إليه فلا علوّ له ولا عظمة. وهذا قصر قلب، أي أما آلهتكم فلا علو لها كما تزعمون.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ عليّ في جلاله، عظيم في سلطانه. وقال ابن عباس: الذي كمل في عظمته، وقيل: العظيم المعظّم.

عن عبادة عن النبي ﷺ قال: «**من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وسبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته**» (البخاري).

كمال العلو والعظمة لله كما قال: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ (البقرة).

واعلم أن العلو والعظمة درجتان من درجات الكمال، إلا أن درجة العظمة

أكمل وأقوى من درجة العلو، وفوقهما درجة الكبرياء قال تعالى: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري**» (السلسلة الصحيحة)، ولا شك أن الرداء أعظم من الإزار، وفوق جميع هذه الصفات بالرتبة والشرف صفة الجلال، وهي تقدسه في حقيقته المخصوصة وهويته المعينة عن مناسبة شيء من الممكنات، فلهذا المعنى قال ﷺ: «ألظوا بـ(ياذا الجلال والإكرام» (السلسلة الصحيحة).

وأما قولنا: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو غير مذكور في القرآن صريحاً، لأنه من كنوز الجنة، والكنز يكون مخفياً ولا يكون ظاهراً.

(العلي) شأنه (العظيم) سلطانه له ما في السماوات والأرض، ملكاً وتصرفاً، فتعالى عز وجل عن ادعاء الولد أو الشريك أو المثل (علي) المكان والمكانة والقدر والقدرة (عظيم) الذات والشأن.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ بذاته على جميع مخلوقاته وهو ﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾ بعظمة صفاته، وهو العلي الذي قهر المخلوقات، ودانت له الموجودات، وخضعت له الصعاب، وذلت له الرقاب.

﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ الجامع لكل صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الذي تهابه القلوب وتخشع لذكره الأفئدة. الذي جاوز قدره حدود العقول.. سبحانه وتعالى.

والعظمة في حق الله كمال، وللعبد ذم لأنها تكبُّر وتعظم لمن لا يستحقه ولا ينبغي أن يتصف به.

واقترن هذان الاسمان في تمام ذكر صفات الله عز وجل، في آية الكرسي لتتوج كل تلك الصفات بـ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾..

العلي الكبير

اقترن اسم الله (العلي)، بإسم الله (الكبير).. خمس (٥) مرات في كتاب الله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ (الحج).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ (لقمان).

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ (سبأ).

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ (غافر).

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ (النساء).

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾.

(العلي) في ذاته، وفي قدره وفي قهره (الكبير) في ذاته وفي أسمائه وصفاته، الأرض قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، وسع كرسيه السماوات والأرض.

في التفسير:

في ختام آية سورة النساء، قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾، أي: أن الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصي إذا تاب، فإذا رجعت المرأة عن نشوزها فالأولى لكم أن تتركوا معاتبتها، وتقبلوا توبتها واعلموا أن قدرته ـ عز وجل ـ عليكم أعظم من قدرتكم على من تحتكم.

وختمت آية (غافر) بـ(العلي الكبير)، لأن معناها مناسب لحرمانهم من الخروج من النار، أي لعدم نقض حكم الله فيهم بالخلود في النار.

﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ ومن أولى بالحكم منه عز وجل.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ (سبأ:٢٣)، وفسره قول رسول الله صلى: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضَربت الملائكة بأجنحتها خُضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فُزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قال للذي قال: الحق وهو العلي الكبير**» (البخاري).

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ الشأن ﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ السلطان. أو ذلك

الذي أوحى إليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق، وأن إلهاً غيره باطل، وأن الله هو العلي الكبير عن أن يشرك به.

قوله الحق: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ ذو العلو والكبرياء، ليس لملك ولا نبيّ أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه، وأن يشفع إلا لمن ارتضى.

إن اقتران هذين الاسمين يورث الذلة والخشوع والخضوع في قلب العبد المؤمن... فلا يطغى ولا يظلم خاصة إذا آل الأمر إليه وأصبح ذا قوة على من هو أضعف منه... وإن كان في مقام الحكم إلتزم تشريع (**العلي الكبير**).. لأن الحكم المطلق له سبحانه وتعالى.

العليم الحكيم

سبق البيان بأن الاسمين اقترنا ستاً وثلاثين (٣٦) مرة في كتاب الله: أتى العليم أولاً في تسع وعشرين (٢٩) آية، وأتى الحكيم أولاً في سبع (٧) آيات.. وذلك وفق موضوع الآية وغايتها.

ومن الآيات التي ورد فيها ﴿العليم الحكيم﴾:

﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (البقرة).

﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ (يوسف).

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (يوسف).

﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ (التحريم).

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النساء).

﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (الأنفال).

﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (التوبة).

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الحج).

﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (النور).

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ (الحجرات).

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾ (النساء).

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾ (النساء).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ (النساء).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ (الأحزاب).

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ (الفتح).

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ (الإنسان).

(**العليم**) على وزن فعيل صيغة مبالغة من العلم علم اللّه عز وجل بكل شيء ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وعلمه دائم ثابت لا يزيد ولا يطرأ... وكل الآيات التي يقول اللّه فيها... ﴿**ليعلم اللّه**﴾.. معناها.. ليتحقق علم اللّه السابق.. ولتروا أنتم علم اللّه واقعاً.. فإن علم اللّه تام لا يتغير..

(**الحكيم**).. من (الحكم) أو (الحكمة) وإذا اقترن بـ(العليم) يكون المعنى إلى الحكمة أقرب.. وإذا تدبر المرء الآيات التي ختمت بـ(العليم الحكيم) علم لِمَ قدّم اللّه اسمه (العليم) على (الحكيم).

وفي التفسير:

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ العليم الذي أحاط علماً بكل شيء، فلا يغيب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾: من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق، ولا يشذ عنها مأمور، فما خلق شيئاً إلا لحكمة ولا أمر بشيء إلا لحكمة، والحكمة: وضع الشيء في موضعه اللائق به، فأقروا، واعترفوا بعلم الله وحكمته، وقصورهم عن معرفة أدنى شيء، واعترافهم بفضل الله عليهم، وتعليمه إياهم ما لا يعلمون.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾.

إنك أنت يا ربنا العليم بجميع ما قد كان وما هو كائن، والعلام للغيوب دون جميع خلقك. وذلك أنهم نَفَوا عن أنفسهم بقولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾، أن يكون لهم علم إلا ما علمهم ربهم، وأثبتوا ما نفوا عن أنفسهم من ذلك لربهم بقولهم: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ الذي يعلم حالي، واحتياجي إلى تفريجه ومنَّته، واضطراري إلى إحسانه، ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ الذي جعل لكل شيء قدراً، ولكل أمر منتهى، بحسب ما اقتضته حكمته الربانية.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ الذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها، وسرائر

العباد وضمائرهم، ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ في وضعه الأشياء مواضعها، وسوقه الأمور إلى أوقاتها المقدرة لها. فلذلك فرض لكم تحلة أيمانكم، لتبرأ ذممكم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ الذي أحاط علمه بظواهركم وبواطنكم، وهو الحكيم في جميع ما خلقه وحكم به، فلذلك شرع لكم من الأحكام، ما يعلم أنه موافق لمصالحكم، ومناسب لأحوالكم.

﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ يتولاكم بنصره أيها المؤمنون ﴿وهو العليم﴾ بمصالحكم ﴿الحكيم﴾ في تدبيره إياكم، وصرفكم فيما هو أعلم به.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ كامل العلم، فمن علمه أن علمكم ما لم تكونوا تعلمون، ومنها هذه الأشياء والحدود. ومن حكمته أنه يتوب على من اقتضت حكمته ورحمته التوبة عليه، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله خذلانه.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ أي: عليم بكل شيء، حكيم يضع الأشياء مواضعها، ومن علمه وحكمته أن شرع لكم الأحكام الجليلة الجميلة، وأنه تكفل بكفايتكم شأن الأسرى وشرهم إن أرادوا خيانة.

﴿**ويتوب الله على من يشاء**﴾ من هؤلاء المحاربين بأن يوفقهم للدخول في الإسلام ويزينه في قلوبهم ويُكرِّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ يضع الأشياء في مواضعها ويعلم من يصلح للإيمان فيهديه ومن لا يصلح فيدعه في غيه وطغيانه.

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فرضها وقدرها، تبعاً لعلمه وحكمته ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ له العلم المحيط بالواجبات والمستحيلات والممكنات، والحكمة التي وضعت كل شيء موضعه، فأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، ومنه هذه الأحكام التي بيّنها وبيّن مآخذها وحسنها.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ (النور: ١٨) ويوضحها، ويفصل أحكامها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بمن يشكر النعمة، فيوفقه لها، ممن لا يشكرها، ولا تليق به، فيضع فضله، حيث تقتضيه حكمته.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فيعلم تعالى، ما يصلح لكم من الأحكام، ويشرع لكم ما تقتضيه الحكمة.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾، بمن يلتزم حدود ما أنزل على رسوله، والمنافق من خلقه، والكافر منهم، لا يخفى عليه منهم أحد.

﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره إياهم، وفي حلمه عن عقابهم، مع علمه بسرائرهم وخداعهم أوليائه.

وأما قوله: ﴿**إما يعذبهم**﴾ فإنه يعني: إما أن يحجزهم الله عن التوبة بِخُذْلانِهِمْ، فيعذبهم بذنوبهم التي ماتوا عليها في الآخرة.

﴿**وإما يتوب عليهم**﴾: وإما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم، فيغفر لهم.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يقول: والله ذو علم بأمرهم وما هم صائرون إليه من التوبة أو المقام على الذنب.

﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيرهم وتدبير من سواهم من خلقه، لا يدخل حكمه خَلَلٌ.

إن اقتران (**العليم الحكيم**) يزيد العبد طمأنينة لما شرع الله عز وجل فلا يتردد في قبول كل ما جاء في شريعة الله ولا يشعر بالحرج من اتباع شريعة الله، بل ويدعو إلى الله وهو مؤمن أن ما يدعو إليه هو الكمال لأنه صادر من (**العليم الحكيم**).

العليم الحليم

ورد اسم الله (الحليم) في كتاب الله عز وجل إحدى عشرة (١١) مرة، واقترن بـ(العليم) ثلاث (٣) مرات، وبـ(الغفور) ست (٦) مرات، وبـ(الغني) مرة واحدة، وبـ(الشكور) مرة واحدة.

الآيات التي اقترن فيها الاسمان:

﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (النساء).

﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ (الأحزاب).

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ (الحج).

في التفسير:

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾: سبحانه وتعالى واسع العلم كثير الحلم، شرع لكم ما هو أصلح لأموركم وأكثر لأجوركم، ومن حلمه لم يعاجلكم بالعقوبة بما صدر منكم وما أصرت عليه قلوبكم من الشر.. فارجعوا إلى الله والتزموا أوامره ظاهراً وباطناً.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بالأمور، ظاهرها وباطنها، متقدمها، ومتأخرها، ﴿حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ يعصيه الخلائق، ويبارزونه بالعظائم، وهو لا يعاجلهم بالعقوبة مع كمال اقتداره، بل يوصل لهم رزقه، ويسدي إليهم فضله.

يقول تعالى ذكره: ليدخلنّ الله المقتول في سبيله من المهاجرين والميت منهم ﴿مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ وذلك المدخل هو الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بمن يهاجر في سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة أو عرض من عروض الدنيا.

﴿حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ عن عصاة خلقه، بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ تذييل، أي عليم بما تجشموه من المشاق في شأن هجرتهم من ديارهم وأهلهم وأموالهم، وهو حليم بهم فيما لاقَوه فهو يجازيهم. وهذه الآية تبيّن مزية المهاجرين في الإسلام.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ تذييل، وذكر وصف العلم والحلم هنا لمناسبة أنّ الأحكام المتقدّمة إبطال لكثير من أحكام الجاهلية.

وقوله ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ تذييل قصد به تربية المهابة في القلوب من خالقها العليم بأحوالها. أي والله عليم بما تسرون وما تعلنون، وبما يصلح أحوالكم وبمن يستحق الميراث ومن لا يستحقه وبمن يطيع أوامره ومن يخالفها حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، فهو ـ سبحانه ـ يمهل ولا يهمل. فعليكم أن تستجيبوا لأحكامه، حتى تكونوا أهلاً لمثوبته ورضاه.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ عليم بمن جار أو عدل، حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة.

أعقب ذلك بالصفة الدالة على الصفح عمن شاء، وذلك على عادة أكثر القرآن بأنه لا يذكر ما يدل على العقاب، إلا ويردف بما دل على العفو. وفي إجراء صفتي ﴿عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ على اسم الجلالة إيماء إلى ذلك، فمناسبة صفة العلم لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ظاهرة، ومناسبة صفة الحليم باعتبار أن المقصود ترغيب الرسول ﷺ في أليق الأحوال بصفة الحليم لأن همه ﷺ التخلق بأكمل الأخلاق.

إن اقتران الاسمين (**العليم الحليم**) ينبه العبد إلى عدم التمادي في معصيته، فلا يظن الظالم أن الله غافل عن ظلمه ولا يحسب العاصي أن الله لا يعلم معصيته ولكن سبحانه (**حليم**) لا يعاجل العصاة بالعقوبة لحكمة، فيمهل الجميع (**لحلمه**) فهو سبحانه (**العليم الحليم**).

العليم الخبير

ورد اسم الله (الخبير) خمساً وأربعين (٤٥) مرة في كتاب الله واقترن بـ(اللطيف) خمس (٥) مرات، وبـ(البصير) خمس (٥) مرات، وبـ(الحكيم) أربع (٤) مرات، وبـ(العليم) أربع (٤) مرات، وانفرد سبعاً وعشرين (٢٧) مرة.

و(الخبير) يكون دائماً الاسم الثاني عدا مع البصير فقد أتى قبله. والآيات التي اقترن فيها الاسمان هي:

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ (التحريم).

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ (النساء).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ (لقمان).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات).

في اللغة:

(الخبير).. خبرت الأمر إذا عرفته على حقيقته، و(الخبير) صيغة مبالغة (فعيل).. فهو سبحانه العالم بحقائق كل شيء.

أحاط علمه بالظاهر والباطن والإسرار والإعلان والعالم العلوي والسفلي، فلا يخفى عليه شيء من الأفعال والنوايا..

في التفسير:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ محيط بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبايا، والسرائر، ومن حكمته التامة، أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك.

فأكرمهم عند الله، أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافاً عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوماً، ولا أشرفهم نسباً، ولكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله، ظاهراً وباطناً، ممن يقوم بذلك، ظاهراً لا باطناً، فيجازي كلاً بما يستحق.

وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ تعليل لمضمون ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ أي إنما كان أكرمكم أتقاكم لأن الله عليم بالكرامة الحق التي هي التقوى خبير بمقدار حظوظ الناس من التقوى، فلذلك الأكرم هو الأتقى إن الله عليم خبير وهو جواب بأن الله تعالى يعلم ذلك وزيادة.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ لما خصص أولاً علمه بالأشياء المذكورة، بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ ذكر أن علمه غير مختص بها،

بل هو عليم مطلقاً بكل شيء، وليس علمه علماً بظاهر الأشياء فحسب، بل (خبير) علمه واصل إلى حقيقة الأشياء،

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ بكل شيء لأنه هنا مطلق، ولم يقيد بحال من الأحوال، ﴿خَبِيرٌ﴾ الخبرة هي العلم ببواطن الأمور، والعلم بالظواهر لا شك أنه صفة مدح وكمال، لكن العلم بالبواطن أبلغ، فيكون عليم بالظواهر، وخبير بالبواطن، فإذا اجتمع العلم والخبرة صار هذا أبلغ في الإحاطة.

وإيثار وصفي ﴿**العليم الخبير**﴾ هنا لما فيهما من التذكير بما يجب أن يعلمه الناس من إحاطة الله تعالى علماً وخُبراً بكل شيء.

و﴿**العليم**﴾: التام العلم وهو في أسمائه تعالى دالّ على أكمل العلم، أي العلم المحيط بكل معلوم.

﴿**الخبير**﴾: أخص من العليم لأنه مشتق من خبر الشيء إذا أحاط بمعانيه ودخائله ولذلك يُقال خبرته، أي بلوته وتطلعتُ بواطن أمره، وقال الغزالي في «المقصد الأسنى»: «العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمي خِبرة وسمي صاحبها خبيراً».

فيتضح أن إتباع اسم ﴿العليم﴾ بإسم ﴿الخبير﴾ إيماء إلى أن الله علم دخيلة المخاطبة وما قصدته من إفشاء السرّ للأخرى.

وفي تذييل الآية الكريمة بقوله: ﴿العليم الخبير﴾ إشارة حكيمة وتنبيه بليغ، إلى أن من الواجب على كل عاقل، أن يكون ملتزماً لكتمان الأسرار التي يؤتمن عليها، وأن إذاعتها ـ ولو في أضيق الحدود ـ لا يليق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾: إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كلّ أحد سواه، إنه ذو علم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، خبير بما هو كائن، وما قد كان.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس ذو علم بأتقاكم عند الله وأكرمكم عنده، ذو خبرة بكم وبمصالحكم، وغير ذلك من أموركم، لا تخفى عليه خافية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ أي: عالماً بجميع الظواهر والبواطن، مطلعاً على خفايا الأمور وأسرارها، فمن علمه وخبرته أن شرع لكم هذه الأحكام الجليلة والشرائع الجميلة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما أراد الحكمان من إصلاح بين الزوجين وغيره.

﴿خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ بذلك وبغيره من أمورهما وأمور غيرهما، لا يخفى عليه شيء منه، حافظ عليهم، حتى يجازي كلاً منهم جزاءه، بالإحسان إحساناً، وبالإساءة غفراناً أو عقاباً.

(العليم الخبير)... يعلم ما تفعل ولماذا تفعل.. فأصلح العمل والنية لأنك تتعامل مع (العليم الخبير).

العليم القدير

ورد اسم الله (القدير) في كتاب الله عز وجل خمساً وأربعين (٤٥) مرة، واقترن بـ(العليم) أربع (٤) مرات، وبـ(العفو) مرة واحدة، وانفرد خمس (٥) مرات، وأتى خمساً وثلاثين (٣٥) مرة إنه سبحانه ﴿على كل شيء قدير﴾.

والآيات التي اقترن فيها الاسمان هي:

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ (النحل).

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الشورى).

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (فاطر).

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الروم).

في التفسير:

﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ﴾ بحسب حكمته، ومن حكمته أن يرى العبد ضعفه وأن قوته محفوفة بضعفين، وأنه ليس له من نفسه إلا النقص، ولولا تقوية الله له لما وصل إلى قوة وقدرة، ولو استمرت قوته في الزيادة لطغى وبغى وعتا. وليعلم العباد كمال قدرة الله التي لا تزال مستمرة يخلق بها الأشياء، ويدبر بها الأمور ولا يلحقها إعياء ولا ضعف، ولا نقص بوجه من الوجوه.

وقوله: ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ﴾ يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشباب وشيب ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿ٱلۡقَدِيرُ﴾ على ما يشاء، لا يمتنع عليه شيء أراده، فكما فعل هذه الأشياء، فكذلك يميت خلقه ويحييهم إذا شاء. يقول: واعلموا أن الذي فعل هذه الأفعال بقدرته يحيي الموتى إذا شاء.

﴿عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾ هذا من خصائصه سبحانه وتعالى، فيتصرف في ملكه بعلم وقدرة كاملتين سبحانه، له ملك السماوات والأرض، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٞ﴾ بكل شيء ﴿قَدِيرٞ﴾ على كل شيء، فيتصرف بعلمه وإتقانه الأشياء، وبقدرته في مخلوقاته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾: إن الله لا ينسى، ولا يتغير علمه، عليم بكل ما كان ويكون، قدير على ما شاء لا يجهل شيئاً، ولا يعجزه شيء أراده.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما يخلق، وقدرة على خلق ما يشاء لا يعزب عنه علم شيء من خلقه، ولا يعجزه شيء أراد خلقه.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ لم قدم العلم على القدرة؟ وقال من قبل ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ (الروم) فالعزة إشارة إلى تمام القدرة والحكمة إلى تمام العلم، فقدم القدرة هناك وقدم العلم على القدرة ههنا فنقول هناك المذكور الإعادة بقوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ (الروم) لأن الإعادة تكون بكن فيكون، فالقدرة هناك أظهر وههنا المذكور الإبداء وهو أطوار وأحوال والعلم بكل حال حاصل فالعلم ههنا أظهر، ثم إن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ تبشير وإنذار لأنه إذا كان عالماً بأعمال الخلق كان عالماً بأحوال المخلوقات فإن عملوا خيراً علمه وإن عملوا شراً علمه، ثم إذا كان قادراً فإذا علم الخير أثاب وإذا علم الشر عاقب، ولما كان العلم بالأحوال قبل الإثابة والعقاب الذين هما بالقدرة قدم العلم، وأما في الآخرة فالعلم بتلك الأحوال مع العقاب فقال: ﴿وهو العليم الحكيم﴾.

هو (العليم) بتدبير خلقه (القدير) على ما يشاء.. لا يمتنع عليه شيء، فكما فعل هذه الأشياء فكذلك يميت خلقه ويحييهم متى شاء سبحانه وتعالى.

واقترن الاسمان (العليم القدير) حتى يلجأ العبد إلى الله عز وجل، ويكون على يقين أن الله يعلم أحواله من ضعف وشيبة وحاجة وأنه سبحانه قادر على تحقيق ما يريد لمن يريد.. فلا شيء يعجز الله عز وجل.. فهو (العليم القدير).

الغفور الحليم

ورد اسم الله (الغفور).. إحدى وتسعين (٩١) مرة في كتاب الله عز وجل.

وورد اسم الله (الحليم) إحدى عشرة (١١) مرة، في كتاب الله.

واقترن بالغفور ست (٦) مرات، أتى قبله مرتين (**الحليم الغفور**) وبعده أربع مرات (**الغفور الحليم**) وبالعليم ثلاث (٣) مرات، وبالغني مرة واحدة، وبالشكور مرة واحدة.

وكان دائماً هو الاسم الثاني مع هذه الأسماء.

والآيات التي ورد فيها (**الغفور الحليم**) هي:

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٢٥﴾ (البقرة).

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٣٥﴾ (البقرة).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾ (آل عمران).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ ﴾ (المائدة).

في التفسير:

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ تذييل لحكم نفي المؤاخذة، ومناسبة اقتران وصف الغفور بالحليم هنا دون الرحيم، لأن هذه مغفرة لذنب هو من قبيل التقصير في الأدب مع الله تعالى، فلذلك وصف الله نفسه بالحليم، لأن الحليم هو الذي لا يستفزه التقصير في جانبه، ولا يغضب للغفلة، ويقبل المعذرة.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٣٥﴾ عطف على الكلام السابق في قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ﴾ وابتدئ الخطاب بـ(اعلموا) لما أريد قطع هواجس التساهل والتأول، في هذا الشأن، ليأتي الناس ما شرع الله لهم عن صفاء سريرة من كل دخل وحيلة.

وقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٣٥﴾.

اعلموا أيها الناس أن الله ـ تعالى ـ يعلم ما يجول في نفوسكم من خير أو شر، وما تهجش به خطرات قلوبكم من مقاصد واتجاهات، فاحذروا أن تقصدوا ما هو شر، أو تفعلوا ما هو منكر، واعلموا أنه ـ تعالى ـ غفور لمن تاب وعمل صالحاً، حليم لا يعاجل الناس بالعقوبة، ولا يؤاخذهم إلا

بما كسبوا. فالجملة الكريمة تحذير وتبشير، وترغيب وترهيب، لكي لا يتجاسر الناس على ارتكاب ما نهى الله عنه، ولا ييأسوا من رحمته متى تابوا وأنابوا.

وفي آية آل عمران: «ولقد عفا ـ سبحانه ـ عنهم لصدق توبتهم وندمهم على ما فرط منهم، لأن فرارهم لم يكن عن نفاق، بل كان عارضاً عرض لهم عندما اضطربت الصفوف واختلطت الأصوات ثم عادوا إلى صفوف الثابتين من المؤمنين ليكونوا معهم في قتال أعدائهم.

أكد الله ـ تعالى ـ هذا العفو بلام التأكيد وبـ(قد) المفيدة للتحقيق، وبوصفه ـ سبحانه ـ لذاته بالمغفرة فإن هذا الوصف يؤكد أن العفو شأن من شؤونه، وبوصفه ـ سبحانه ـ لذاته بالحلم، فإن هذا الوصف يفيد أنه لا يعاجل عباده بالعقاب، بل إن ما أصابهم من مصائب فهو بسبب ما اقترفوه من ذنوب ويعفو ـ سبحانه ـ عن كثير.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ لم يزل بالمغفرة موصوفاً، وبالحلم والإحسان معروفاً، فتعرضوا لمغفرته وإحسانه، واطلبوا من رحمته ورضوانه.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لعباده فيما لَغَوْا من أيمانهم التي أخبر الله تعالى ذكره أنه لا يؤاخذهم بها، ولو شاء آخذهم بها.

﴿حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ في تركه معاجلة أهل معصيته العقوبة على معاصيهم.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ يعني أنه ذو ستر لذنوب عباده وتغطيته

عليها، فيما تكنه نفوس الرجال من خطبة المعتدات، وذكرهم إياهن في حال عدتهن، وفي غير ذلك من خطاياهم.

وقوله: ﴿حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ أنه ذو أناة لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم.

فإذا اجتمع (الغفور) مع (الحليم)... زاد تعلق العبد بالمغفرة لأن (الحليم) أطال في عمره حتى يرجع عما كان عليه في سابق حياته.. واقترن كمال الحلم مع كمال المغفرة في (الغفور الحليم) سبحانه وتعالى.

الغفور الرحيم

اقترن اسم الله (الغفور) باسم الله (الرحيم) احدى وسبعين مرة في كتاب الله وهما أكثر اسمين من الأسماء الحسنى اقترنا في القرآن الكريم.

ورد الأسمان في سبع آيات (الغفور الرحيم) وفي سبع آيات أخرى (لغفور رحيم) وفي خمس عشرة آية (غفوراً رحيماً) وفي اثنتين وأربعين آية (غفور رحيم).

من الآيات التي اقترن فيها الأسمان:

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ (النساء).

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ (النساء).

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ (النساء).

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾ (المائدة).

﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾﴾ (الفرقان).

﴿۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾﴾ (هود).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٦٥﴾﴾ (الأنعام).

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾﴾ (الأعراف).

﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ (الزمر).

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ (الشورى).

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ (الحجر).

في التفسير:

يقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -: «كان» تأتي أحياناً مسلوبة الزمان، ويراد بها تحقق اتصاف الموصوف بهذه الصفة؛ ومن ذلك قوله

تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ (النساء)، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ (النساء)، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ (النساء)، وما أشبهها؛ هذه ليس المعنى أنه كان فيما مضى؛ بل لا يزال؛ فتكون «كان» هنا مسلوبة الزمان، ويراد بها تحقيق اتصاف الموصوف بما دلت عليه الجملة؛ وهذا هو الأقرب، وليس فيه تأويل؛ ويُجرى الكلام على ظاهره.

إن أسماء الله سبحانه وتعالى المتعدية يستفاد منها ثبوت تلك الأحكام المأخوذة منها؛ فالأسماء المتعدية تتضمن الاسم، والصفة، والأثر ـ الذي هو الحكم المترتب عليه ـ؛ والعلماء يأخذون من مثل هذه الآية ثبوت الأثر ـ وهو الحكم ـ؛ لأنه لكونه غفوراً رحيماً غفر لمن تناول هذه الميتة لضرورته، ورحمه بحلها، فيكون في هذا دليل واضح على أن أسماء الله عزوجل تدل على «الذات» الذي هو المسمى؛ و«الصفة»؛ و«الحكم».

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ (النساء)؛ فقال تعالى: ﴿لتحكم﴾، ثم قال تعالى: ﴿واستغفر الله﴾؛ فدل هذا على أن الاستغفار من أسباب فتح العلم ـ وهو ظاهر ـ لأن الذنوب ـ والعياذ بالله ـ رين على القلوب، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ (المطففين)، فإذا كانت ريناً عليها فإن الاستغفار يمحو هذا الرين، وتبقى القلوب نيرة مدركة واعية.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ (النساء)

أخذ بعض أهل العلم من هذه الآية أنه ينبغي لمن سئل عن علم أن يستغفر الله عزّ وجلّ حتى تزول عنه الذنوب باستغفاره، ويتبين له الحق.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ وهذا يدل على أنه غفر لهم ورحمهم، ولذلك قال العلماء في قول الله تعالى في الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً، قال: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ....﴾.

أخذ العلماء من هذه الآية أن هؤلاء المفسدين المحاربين لله ورسوله، إذا تابوا قبل القدرة عليهم سقط عنهم العذاب، واستدلوا بأن الله ختم الآية بقوله: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ أي قد غفر لهم فرحمهم، وهذه مسألة ينبغي لطالب العلم أن ينتبه لها في الآيات، إن ختم الآية بعد ذكر الحكم دليل على ما تقتضيه هذه الأسماء التي ختمت بها الآية). انتهى

ومعنى ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ يتحقّق ذلك، فاستعير فعل (يجد) للتحقّق لأنّ فعل (وَجد) حقيقته الظَفَر بالشيء ومشاهدته، فأطلق على تحقيق العفو والمغفرة على وجه الاستعارة. ومعنى ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ شديد الغفران وشديد الرحمة وذلك كناية عن العموم والتعجيل، فيصير المعنى يجد الله غافراً له راحماً له، لأنّه عامّ المغفرة والرحمةِ فلا يخرج منها أحد استغفره وتاب إليه، ولا يتخلّف عنه شمول مغفرته ورحمته زمناً، فكانت صيغة ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ مع (يجد) دَالَّةً على القبول من كلّ تائب بفضل الله.

والتعريف في (السر) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ الآية،

تعريف الجنس يستغرق كل سر، ومنه إسرار الطاعنين في القرآن عن مكابرة وبهتان، أي يعلم أنهم يقولون في القرآن ما لا يعتقدونه ظلماً وزوراً منه، وبهذا يعلم موقع جملة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ ترغيباً لهم في الإقلاع عن هذه المكابرة وفي اتباع دين الحق ليغفر الله لهم ويرحمهم، وذلك تعريض بأنهم إن لم يقلعوا ويتوبوا حق عليهم الغضب والنقمة.

وجملة ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ تعليل للأمر بالركوب المقيد بالملابسة لذكر اسم الله تعالى، ففي التعليل بالمغفرة والرحمة رمز إلى أن الله وعَده بنجاتهم، وذلك من غفرانه ورحمته. وأكّد بـ(إنّ) ولام الابتداء تحقيقاً لأتباعه بأن الله رحمهم بالإنجاء من الغرق.

وجملة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ تذييل للكلام وإيذان بأنّ المقصود منه العمل والامتثال فلذلك جمع هنا بين صفة ﴿سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ وصفة ﴿لَغَفُورٌ﴾ ليناسب جميع ما حوته هذه السّورة. واستعيرت السّرعة لعدم التردّد ولتمام المقدرة على العقاب، لأنّ شأن المتردّد أو العاجز أن يتريّث وأن يخشى غائلة المعاقَب، فالمراد سريع العقاب في يوم العقاب.

ومن لطائف القرآن الاقتصار في وصف (سريع العقاب) على موكِّد واحد، وتعزيز وصف (الغفور الرحيم) بمؤكدات ثلاثة وهي إنّ، ولام الابتداء، والتّوكد اللّفظي؛ لأنّ (الرّحيم) يؤكِّد معنى (الغفور): ليُطمئن أهل العمل الصّالح إلى مغفرة الله ورحمته، وليَسْتَدعي أهلَ الإعراض والصدوف، إلى الإقلاع عمّا هم فيه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ وهذه الآية تدل على أن

السيئات بأسرها مشتركة في أن التوبة منها توجب الغفران، لأن قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يتناول الكل. والتقدير: أن من أتى بجميع السيئات ثم تاب فإن الله يغفرها له، وهذا من أعظم ما يفيد البشارة والفرح للمذنبين، والله أعلم.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ (الزمر).

ومادة الغفر ترجع إلى الستر، وهو يقتضي وجود المستور واحتياجه للستر فدل ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾ على أن الذنوب ثابتة، أي المؤاخذة بها ثابتة والله يغفرها، أي يزيل المؤاخذة بها، وهذه المغفرة تقتضي أسباباً أُجملت هنا وفصلت في مواضع أخرى من الكتاب والسنة منها قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ (طه).

وقد سماها ذنوباً وتوعد عليها فكان قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾ دعوةً إلى تطلب أسباب هذه المغفرة فإذا طلبها المذنب عرف تفصيلها. و(جميعاً) حال من (الذنوب)، أي حال جميعها، أي عمومها، فيغفر كل ذنب منها إن حصلت من المذنب أسباب ذلك.

وجملة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ تعليل لجملة ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ أي لا يُعجزه أن يغفر جميع الذنوب ما بلغ جميعها من الكثرة لأنه شديد الغفران شديد الرحمة.

وجملة ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ (الشورى) تذييل لجملة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ (الشورى: ٥) إلى آخرها لإبطال وهم المشركين أن شركاءهم يشفعون لهم، ولذلك جيء في هذه الجملة بصيغة القصر بضمير الفصل، أي أن غير الله لا يغفر لأحد. وصُدرت بأداة التنبيه للاهتمام بمفادها.

﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ (الحجر) فقوله: نبئ إشارة إلى محمد ﷺ، وهو مذكور قبل العباد، والياء في قوله: عبادي ضمير عائد إلى الله تعالى والياء في قوله: (أني) عائد إليه، وقوله: (أنا) عائد إليه، وقوله: (الغفور الرحيم)، صفتان لله فهي خمسة ألفاظ دالة على الله الغفور الرحيم.

لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بألفاظ ثلاثة: أولها: قوله: ﴿أَنِّيٓ﴾. وثانيها: قوله: ﴿أَنَا﴾. وثالثها: ادخال حرف الألف واللام على قوله: ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ولما ذكر العذاب لم يقل أني أنا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾. وثالثها: أنه أمر رسوله أن يبلغ إليهم هذا المعنى فكأنه أشهد رسوله على نفسه في إلتزام المغفرة والرحمة. ورابعها: أنه لما قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ﴾ كان معناه نبئ كل من كان معترفاً بعبوديتي، وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع، فكذلك يدخل فيه المؤمن العاصي، وكل ذلك يدل على تغليب جانب الرحمة من الله تعالى.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ أي: المغفرة والرحمة، وصفان لازمان

ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، تسح يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته. ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها، بعد التوحيد الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجلّ، والطريق الأعظم.

الملائكة قالوا في أول الأمر ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة: ٣٠) ثم في آخر الأمر صاروا يستغفرون لمن في الأرض: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ (الشورى)، وأما رحمة الحق وإحسانه فقد كان موجوداً في الأولى والآخرة فثبت أن الغفور المطلق والرحيم المطلق هو الله تعالى: وقد أخبر تعالى عنهم أنهم يستغفرون لمن في الأرض ولم يحك عنهم أنهم يطلبون الرحمة لمن في الأرض فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ (الشورى) يعني أنه يعطي المغفرة التي طلبوها ويضم إليها الرحمة الكاملة التامة.

فسبحان من جعل أكثر اسمين مقترنين في كتابه (**الغفور الرحيم**)، وكتب على نفسه الرحمة.. ووعد من استغفرة بالمغفرة وأمر العصاة والمسرفين ألَّا يقنطوا من رحمته.. اللهم اغفر لنا وارحمنا إنك أنت (**الغفور الرحيم**).

الغفور الشكور

ورد الاسمان مقترنين في ثلاثة (٣) مواضع من كتاب الله العزيز:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ (فاطر).

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الشورى).

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الشورى).

وجاء اسم الله (الشكور) قبل (الحليم).. وبعد (الغفور).

وذلك أن شكر الله لعباده بمضاعفة أجورهم وزيادتهم من فضله إنما يكون بعد أن يغفر لهم... وفي آية الإنفاق (التغابن: ١٧) ضاعف الأجر أضعافاً كثيرة لمن أنفق، و (حلم) عن من لم ينفق.

وفي التفسير:

﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي: أجور أعمالهم، على حسب قلتها وكثرتها، وحُسنها وعدمه، ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۚ﴾ زيادة عن أجورهم: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ غفر لهم السيئات، وقبل منهم القليل من العمل وجزاهم بالأجر الجزيل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ يغفر الذنوب العظيمة ولو بلغت ما بلغت عند التوبة منها، ويشكر على العمل القليل بالأجر الكثير، فبمغفرته يغفر الذنوب ويستر العيوب، وبشكره يتقبل الحسنات ويضاعفها أضعافاً كثيرة.

وجملة ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ استئنافُ ثناء على الله شكروا به نعمة السلامة وأثنوا عليه بالمغفرة لما تجاوز عما اقترفوه من اللمم وحديث الأنفس ونحو ذلك مما تجاوز الله عنه بالنسبة للمقتصدين والسابقين، ولِما تجاوز عنه من تطويل العذاب وقبول الشفاعة بالنسبة لمختلف أحوال الظالمين أنفسهم وأثنوا على الله بأنه شكور لـمَّا رأوا من إفاضته الخيرات عليهم ومُضاعفة الحسنات مما هو أكثر من صالحات أعمالهم. وهذا على نحو ما تقدم في قوله: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ (فاطر).

غفر لنا العظيم، وشكر لنا القليل من أعمالنا.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ ذكر الله عنهم أموراً كلها تفيد الكرامة من الله الأول: الحمد فإن الحامد مثاب الثاني: قولهم (ربنا) فإن الله لم يناد بهذا اللفظ إلا واستجاب لهم، اللهم إلا أن يكون المنادي قد ضيع الوقت الواجب أو طلب ما لا يجوز كالرد إلى الدنيا من الآخرة.

الثالث: قولهم: (غفور)، الرابع: قولهم: (شكور) والغفور إشارة إلى ما غفر لهم في الآخرة بما وجد لهم من الحمد في الدنيا، والشكور إشارة إلى ما يعطيهم ويزيد لهم بسبب ما وجد لهم في الآخرة من الحمد وذيل هذا الوعد بما يحققه وهو أن الغفران والشكران من شأنه، فإنّ من أسمائه الغفور الشكور، أي الكثير المغفرة والعظيم الشكر.

وفي الآية ما يشمل ثواب قُرَّاء القرآن، فإنهم يصدق عنهم أنهم من الذين يتلون كتاب الله ويقيمون الصلاة ولو لم يصاحبهم التدبر في القرآن فإن للتلاوة حظها من الثواب والتنوّر بأنوار كلام الله.

وتضمنت الآية في (الشورى) أن النبي ﷺ منزّه عن أن يتطلب من الناس جزاء على تبليغ الهدى إليهم فإن النبوءة أعظم مرتبة في تعليم الحقّ وهي فوق مرتبة الحكمة، والحكماء تنزّهوا عن أخذ الأجر على تعليم الحكمة، فإن الحكمة خير كثير والخير الكثير لا تقابله أعراض الدنيا.

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾.

تذييل لجملة ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ والمعنى: وكلما عمل مؤمن حسنة زدناه حسناً من ذلك الفضل الكبير. وهذا في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ (البقرة: ٢٦١).

والاقتراف: افتعال من القَرْف، وهو الاكتساب، فالاقتراف مبالغة في الكسب نظير الاكتساب، وليس خاصاً باكتساب السوء وإن كان قد غلب فيه، وأصله من قَرَفَ الشجرةَ، إذا قسر قِرْفَها، بكسر القاف، وهو لِحَاؤها.

والحسنة: الفَعْلة ذات الحسن صفة مشبهة غلبت في استعمال القرآن والسنة على الطاعة والقربة فصارت بمنزلة الجوامد عَلَماً بالغلبة وهي مشتقة من الحسن وهو جمال الصورة. والحُسن: ضد القبح وهو صفة في الذات تقتضي قبول منظرها في نفوس الرّائين وميلهم إلى مداومة مشاهدتها. وتوصف المعنويات بالحسن فيراد به كون الفعل أو الصفة محمودة عند العقول مرغوباً في الاتصاف بها.

ولما كانت الحسنة مأخوذة من الحُسن جعلت الزيادة فيها من الزيادة في الحسن مراعاة لأصل الاشتقاق.

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ حيث غفر لنا الزلات ﴿شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ حيث قبل منا الحسنات وضاعفها، وأعطانا من فضله ما لم تبلغه أعمالنا ولا أمانينا، فبمغفرته نجوا من كل مكروه ومرهوب، وبشكره وفضله حصل لهم كل مرغوب محبوب.

إن اقتران هذين الاسمين (**الغفور الشكور**) يورث في القلب رغبة في التوبة من الذنب ورجاء الثواب.. ويحفظ العبد من كيد الشيطان بتقنيطه من مغفرة الذنب أو نيل الأجر.. فالعبد يذنب ولكنه لا يقنط بل ويطمع بالأجر، إذا أقلع وأصلح، لأن ربه (**غفور شكور**).

الغفور الودود

ورد الاسمان مقترنين في موضع واحد من كتاب الله:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ (البروج).

إن الله يذكر بعض صفاته.. فكأنه عز وجل جعل (الغفور الودود) أقرب إلى قوله (يعيد) أي إلى الآخرة فهو عز وجل يذكر عباده المؤمنين بهذا الأمر ليزدادوا له (وداً) ويعملوا ليكونوا فيمن سيجعل لهم ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ (مريم) يوم القيامة.

التفسير:

قال الكلبي: الودود هو المتودد إلى أوليائه بالمغفرة والجزاء، قال الأزهري: قال بعض أهل اللغة يجوز أن يكون ودود فعولاً بمعنى مفعول ومعناه أن عباده الصالحين يودّونه ويحبونه لِما عرفوا من كماله في ذاته وصفاته وأفعاله، قال: وكلتا الصفتين مدح لأنه جل ذكره إذا أحب عباده المطيعين فهو فضل منه، وإن أحبه عباده الصالحون فلما تقرر عندهم من كريم إحسانه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ يعني أن الأمر إليه ابتداء وإعادة وهذا كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ (الروم: ٢٧) فهو الذي بدأ الأشياء، وإليه تنتهي الأشياء، الأشياء منه وإليه في كل شيء، الخلق من

الله وإليه، الشرائع من الله وإليه، كل الأمور من الله وإليه، ولهذا قال (يبدأ) ولم يذكر ما الذي يبدؤه، فمعناه (يبدأ) كل شيء، ويعيد كل شيء، فكل الأمر بيده عزوجل، فاعرف أيها العبد من أين أنت، وأنك ابتدأت من عدم، واعرف منتهاك وغايتك، وأن غايتك إلى الله عزوجل ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ (الغفور) يعني ذا المغفرة، والمغفرة ستر الذنب والعفو عنه فليست المغفرة ستر الذنب فقط بل ستره وعدم المؤاخذة عليه كما جاء في الحديث الصحيح: «**إن الله يخلو بعبده المؤمن يوم القيامة ويقرره بذنوبه حتى يقر بها ويعترف فيقول الله عز وجل: قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**» (متفق عليه)، ويُذكر أن بني إسرائيل كانوا إذا أذنب الواحد منهم ذنباً وجده مكتوباً على باب بيته فضيحة وعاراً، لكننا نحن ولله الحمد قد ستر الله علينا.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب.

﴿ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ الذي يحبه عباده الصالحون محبة لا يشبهها شيء فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبته في قلوب المؤمنين من خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكن غيرها تبعاً لها، كانت عذاباً على أهلها، وهو تعالى الودود، الواد لأحبابه، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ (المائدة: ٥٤) والمودة هي المحبة الصافية، وفي هذا سر لطيف، حيث قرن

(الودود) ب(الغفور)، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم.

قال جل ثناؤه: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾، معناه: أن ذلك من صفته تعالى، إذ كان ولم يزل لذنوب العباد غفوراً من قبل نزول هذه الآية، وفي حال نزولها، ومن بعد ذلك.

وفي اقتران الاسمين (**الغفور الودود**) .. دعوة لطيفة للمذنبين بأن يستغفروا ويرجعوا إلى الله فإنه سبحانه لا يغفر ذنوبهن فحسب بل ويودهم.... إذا هم تابوا وأنابوا إلى ربهم سبحانه وتعالى.

الغني الحليم

آية واحدة من كتاب الله عز وجل اختتمت بهذين الاسمين مقترنين:

﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ (البقرة).

التفسير:

فاضل سبحانه بين الكلمة الطيبة والصدقة المؤذية في قوله تعالى: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ (البقرة).

أفهم المنفقين أن المنّ والأذى يبطل الصدقة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٦٤) لما فيه من جرح شعور المسكين.

وقد حثَّ على إخفائها إمعاناً في الحفاظ على شعوره وإحساسه ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ ﴾ (البقرة: ٢٧١) ـ أي مع الآداب السابقة ـ ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ ﴾ (البقرة: ٢٧١) أي لكم أنتم في حفظ ثوابها.

وقد جعل ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله «رجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه» (متفق عليه)، وكما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ

وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ (البقرة).

ومن خصائص الإسلام في هذا الباب أنه كما أدب الأغنياء في طريقة الأنفاق، فقد أدب الفقراء في طريقة الأخذ. وذلك في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ (البقرة).

يقول الحقّ جلّ جلاله: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ جميل يقوله الإنسان للسائل في حال رده، حيث لم يجد ما يعطيه، ﴿خَيْرٌ﴾ وأفضل عند الله من الصدقة التي يتبعها المن والأذى، ومثال القول المعروف: الله يرزقنا وإياك رزقاً حسناً. والله يغنينا وإياك من فضله العظيم، وشبه ذلك من غير تعبيس ولا كراهية. ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ للسائل والعفو عن جفوته وإلحاحه، ﴿خَيْرٌ﴾ أيضاً ﴿مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ﴾ مَنٌّ، أو ﴿أَذًى﴾ للسائل، علم الحق جلّ جلاله أن الفقير إذا رُدَّ بغير نوال شقَّ عليه، فربما أطلق لسانه وأظهر الشكوى فأمر المسؤول بالعفو والتواضع. ولو شاء الحقّ تعالى لأغنى الجميع، لكنه أعطى الأغنياء ليظهر شكرهم، وابتلى الفقراء ليظهر كيف صبرهم، ﴿وَٱللَّهُ﴾ تعالى ﴿غَنِىٌّ﴾ عن إنفاق يصحبه مَنٌّ أو أذى، ﴿حَلِيمٌ﴾ عن معاجلة من يَمُنُّ أو يؤذي بالعقوبة.

وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾: تربية للسائل والمسؤول، فتربية

السائل: أن يستغني بالغنيِّ عن سؤال العبد الفقير، وتربية المسؤول: أن يحلم عن جفوة السائل فيتلطف في الخطاب، ويحسن الرد والجواب. في شرح الأسماء: والتخلق بهذا الاسم - يعني الحليم - بالصفح عن الجنايات، والسماح فيما يقابلونه به من الإساءات، بل يجازيهم بالإحسان، تحقيقاً للحلم والغفران.

والله غني عن جميع مخلوقاته، وكلها مفتقرة إليه في جميع الحالات والأوقات، فصدقتكم وإنفاقكم وطاعاتكم تعود مصلحتها ونفعها إليكم: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عنها، ومع هذا فهو ﴿حَلِيمٌ﴾ على من عصاه لا يعاجله بعقوبة مع قدرته عليه، ولكن رحمته وإحسانه وحلمه تقتضي عدم معاجلته للعاصين، بل يمهلهم ويصرّف لهم الآيات لعلهم يرجعون وينيبون إليه، فإذا علم تعالى أنه لا خير فيهم ولا تغني عنهم الآيات ولا تفيد بهم المثلات أنزل بهم عقابه وحرمهم جزيل ثوابه.

﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ «ذكر الله أربع مراتب للإحسان:

المرتبة العليا: النفقة الصادرة عن نية صالحة، ولم يتبعها المنفق منًّا ولا أذى.

ثم يليها قول المعروف، وهو: الإحسان القولي بجميع وجوهه، الذي فيه سرور المسلم، والاعتذار من السائل إذا لم يوافق عنده شيئاً، وغير ذلك من أقوال المعروف.

والثالثة: الإحسان بالعفو والمغفرة، عمن أساء إليك، بقول أو فعل.

والرابعة: وهي التي يُتبعها المتصدق الأذى للمعطي؛ لأنه كدر إحسانه وفعل خيراً وشراً.

فالخير المحض ـ وإن كان مفضولاً ـ خير من الخير الذي يخالطه شر، وإن كان فاضلاً، وفي هذا التحذير العظيم لمن يؤذي من تصدق عليه، كما فعله أهل اللؤم والحمق والجهل».

﴿وَٱللَّهُ﴾ تعالى ﴿غَنِيٌّ﴾ عن صدقاتهم، وعن جميع عباده.

﴿حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ مع كمال غناه، وسعة عطاياه، يحلم عن العاصين، ولا يعاجلهم بالعقوبة، بل يعافيهم ويرزقهم، ويدر عليهم خيره، وهم مبارزون له بالمعاصي.

ولا تخفى مناسبة ختم هذه الآية بهذين الاسمين مقترنين.. فهو سبحانه (الغني الحليم)... ليس بحاجة لصدقاتكم ولا يعاجلكم بالعقوبة رغم معصيتكم.. فارجعوا إلى الله.. قبل أن يدرككم الموت.

الغني الحميد

ورد اسم الله (الغني) في كتاب الله سبع عشرة (١٧) مرة، واقترن بـ(الحميد) عشر (١٠) مرات، والآيات التي اقترن فيها الاسمان وهي:

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ (الحج).

﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ (لقمان).

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ (فاطر).

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ (الحديد).

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ (الممتحنة).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ (البقرة).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ (لقمان).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦﴾ (التغابن).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ١٣١﴾ (النساء).

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨﴾ (إبراهيم).

التفسير:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾، أي: الغني عن حمد الحامدين، المستحق للحمد، وإن لم يحمدوه... وهو سبحانه محمود في غناه.

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن الأشياء كلها، ﴿ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ أي: المحمود بكل لسان، ولم يصفهم في آية فاطر بالفقر للتحقير، بل للتعظيم؛ لأن العبد إذا أظهر فقره لسيده الغني، أغناه عن أشكاله وأمثاله. وذكر «الحميد» ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خَلْقه، والجواد المنعم عليهم، إذ ليس كلّ غنيّ نافعاً بغناه، إلا إذا كان الغنيُّ جواداً منعماً، وإذا جاد وأنعم، حمده المنعَم عليهم.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤﴾ أي: غني عنه وعن إنفاقه، محمود في ذاته، لا يضره إعراض من أعرض عن شكره، بالتقرُّب إليه بشيء من نعمه.

ومن تمام غناه أنه كامل الأوصاف، إذ لو كان فيه نقص بوجه من الوجوه، لكان فيه نوع افتقار إلى ذلك الكمال، بل له كل صفة كمال، ومن تلك الصفة كمالها، ومن تمام غناه أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولا شريكاً في ملكه ولا ظهيراً، ولا معاوناً له على شيء من تدابير ملكه.

ومن كمال غناه افتقار العالم العلوي والسفلي في جميع أحوالهم وشؤونهم إليه وسؤالهم إياه جميع حوائجهم الدقيقة والجليلة، فقام تعالى بتلك المطالب والأسئلة وأغناهم، ومنَّ عليهم بلطفه وهداهم.

وأما (الحميد) فهو من أسماء الله تعالى الجليلة، الدالة على أنه المستحق لكل حمد، وثناء، وذلك لما اتصف به من صفات الحمد، التي هي صفة الجمال والجلال، ولما أنعم به على خلقه من النِّعم الجزال، فهو المحمود على كل حال.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ بذاته الذي له الغنى المطلق التام، من جميع الوجوه، ومن غناه، أنه لا يحتاج إلى أحد من خلقه، ولا يواليهم من ذلة، ولا يتكثّر بهم من قلّة، ومن غناه، أنه ما اتخذ صاحبة ولا ولداً، ومن غناه، أنه صمد، لا يأكل ولا يشرب، ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه الخلق بوجه من الوجوه، فهو يُطْعِم ولا يُطْعَم، ومن غناه، أن الخلق كلهم مفتقرون إليه، في إيجادهم، وإعدادهم، وإمدادهم، وفي دينهم ودنياهم، ومن غناه، أنه لو اجتمع من في السماوات ومن في الأرض، الأحياء منهم والأموات، في صعيد واحد، فسأل كل منهم ما بلغت أمنيته، فأعطاهم فوق أمانيهم، ما نقص ذلك من ملكه شيء، ومن غناه، أن يده سحاء

بالخير والبركات، الليل والنهار، لم يزل إفضاله على خلقه، ومن غناه وكرمه، ما أودعه في دار كرامته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

(**الحميد**) أي: المحمود في ذاته، وفي أسمائه، لكونها حسنى، وفي صفاته، لكونها كلها صفات كمال، وفي أفعاله، لكونها دائرة العدل والإحسان والرحمة والحكمة وفي شرعه، لكونه لا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة، الذي له الحمد، الذي يملأ ما في السماوات والأرض، وما بينهما، وما شاء بعدهما، الذي لا يحصي العباد ثناء على حمده، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، وهو المحمود على توفيق من يوفقه، وخذلان من يخذله، وهو الغني في حمده، الحميد في غناه.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ الذي غناه من لوازم ذاته، الذي له ملك السماوات والأرض، وهو الذي أغنى عباده، الحميد الذي له كل اسم حسن، ووصف كامل، وفعل جميل، يستحق أن يُحمد عليه ويُثنى ويُعظَّم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾: إن الله هو الغني عن عبادة هؤلاء المشركين به الأوثان والأنداد، وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه، لأنهم ملكه وله، وبهم الحاجة إليه، الحميد: يعني: المحمود على نعمه التي أنعمها على خلقه.

واقترن (الغني) بـ(الحميد)، ترغيباً للعباد أن يسألوا كل شيء من

(الغني) فهو محمود في غناه يمدحه الخلق ويثنون عليه فينبغي على العبد أن يسأل (الغني الحميد) الهداية والعافية، وخير الدنيا والآخرة.. ولا يسأل أحداً سواه، فالجميع فقير إلى الله.

وما أحسن اقتران هذين الاسمين الكريمين (الغني الحميد)!! فإنه غني محمود، فله كمال من غناه، وكمال من حمده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر.

وهذه العقيدة تملأ قلب المؤمن ثقة بالله وتوكلاً عليه ولجوءاً إليه، دون غيره من المخلوقات، إن (الغني الحميد) يملك خزائن السماوات والأرض.

الغني الكريم

ورد اسم الله (الكريم) عز وجل مرتين في كتاب الله واقترن بـ(الغني) مرة واحدة.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (النمل).

التفسير:

ضرب حكمة خُلُقية دينية وهي: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾؛ فكل متقرب إلى الله بعمل صالح يجب أن يستحضر أن عمله إنما هو لنفسه يرجو به ثواب الله ورضاه في الآخرة ويرجو دوام التفضل من الله عليه في الدنيا، فالنفع حاصل له في الدارين ولا ينتفع الله بشيء من ذلك.

فالكلام في قوله: ﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ لام الأجل وليست اللام التي يُعدى بها فعل الشكر في نحو ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾ (البقرة: ١٥٢). والمراد بـ ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ من كفر فضْلَ الله عليه بأن عبَد غير الله، فإن الله غني عن شكره وهو كريم في إمهاله ورزقه في هذه الدنيا.

والعدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ دون أن يقول: فإنه غني كريم، تأكيد للاعتراف بتمحض الفضل المستفاد من قوله: ﴿فَضْلِ رَبِّى﴾.

ثم إنه عليه السلام بيّن أن نفع الشكر عائد إلى الشاكر لا إلى الله تعالى، أما أنه عائد إلى الشاكر فلوجوه: أحدها: أنه يخرج عن عهدة ما وجب عليه من الشكر وثانيها: أنه يستمد به المزيد على ما قال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: ٧)، وثالثها: أن المشتغل بالشكر مشتغل بلذة الذكر عن اللذات الحسية وفرق ما بينهما كفرق ما بين المنعم والنعمة في الشرف، ثم قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ غني عن شكره لا يضره كفرانه، كريم لا يقطع عنه نعمه بسبب إعراضه عن الشكر.

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ غني عن أعماله، كريم كثير الخير يعم به الشاكر والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها.

ومن كفر نعمه وإحسانه إليه، وفضله عليه، لنفسه ظلم، وحظَّها بخَس، والله غنيّ عن شكره، لا حاجة به إليه، لا يضرّه كفر من كفر به من خلقه، كريم، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه.

في اللغة:

(**الكرم**) نقيض اللؤم.

(الكريم) الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، الجامع لأنواع الخير والشرف، والفضائل ، الجامع لكل ما يُحمد.

واقتران (الغني) بـ(الكريم).. يرغّب العبد أن يسأل الله عز وجل من

عطائه وأن يشكر النعمة إقراراً بالقلب، وذكراً باللسان، وعملاً بالجوارح.. ولا يغتر ببقاء النعمة مع كفره بالله أو بالنعمة.. فإن الله ﴿غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب.. ولا يعطي الدين إلا من يحب.

فلا يسأل غير (الغني الكريم).. ويديم شكر النعم التي أسبغها عليه (الغني الكريم)، فإن الشكر مدعاة لدوام النعمة، والكفر مدعاة لزوالها.

الفتاح العليم

ورد اسم الله (الفتاح) عز وجل في موضع واحد من كتاب الله عز وجل، واقترن بـ(العليم).

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ (سبأ).

التفسير:

﴿الْفَتَّاحُ﴾ الذي يحكم بين عباده بأحكامه الشرعية، وأحكامه القدرية، وأحكام الجزاء، الذي فتح بلطفه بصائر الصادقين، وفتح قلوبهم لمعرفته ومحبته والإنابة إليه، وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة، وسبب لهم الأسباب التي ينالون بها خير الدنيا والآخرة ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ (فاطر).

ويقال للقاضي: (الفتاح) ومنه قول الله عز وجل: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (الأعراف)، أي احكم بيننا وبينهم.

وقوله تعالى عن نبيه نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ (الشعراء)، أي احكم بيني وبينهم حكماً. وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ

ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ (سبأ)، وقوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ (الأنفال)، أي إن تطلبوا الحكم بهلاك الظالم منكم، ومن النبي ﷺ فقد جاءكم الفتح: أي الحكم بهلاك الظالم وهو هلاكهم يوم بدر ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ بما ينبغي أن يحكم به.

في تفسير الطبري عن قتادة: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي يقضي بيننا.

وعن ابن عباس: ﴿ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾: القاضي.

وفي اللغة:

يقال للقاضي: الفتّاح.

وفي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ أي اقض بيننا.

و﴿ٱلْفَتَّاحُ﴾ في حق الله: الحاكم.

و﴿ٱلْفَتَّاحُ﴾ من أبنية المبالغة في أن قضاءه حق وحكمه نافذ لأنه العليم بخبايا الخصومة وحقيقة المتخاصمين.

اقتران (ٱلْفَتَّاحُ) بـ(ٱلْعَلِيمُ) يبعث الطمأنينة عند أهل الإيمان.. في مظالمهم في الدنيا.. وفي مآلهم في الآخرة.. وفي دعائهم.. فإنهم يلجأون إلى (الفتاح العليم) يقتص لهم وينصفهم ممن ظلمهم.

القريب المجيب

ورد اسم الله (القريب) ثلاث (٣) مرات في كتاب الله، اقترن بـ(المجيب) و(السميع)، وانفرد مرة واحدة في موضع الدعاء.

وورد المجيب، مرتين في كتاب الله انفرد مرة واقترن بـ(القريب) مرة.

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (هود).

التفسير:

﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾: ترهيب وترغيب.

أي: قريب ممن دعاه دعاء مسألة، أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطائه سؤله، وقبوله عبادته، وإثابته عليها، أجل الثواب، واعلم أن قربه تعالى نوعان: عام، وخاص، فالقرب العام: قربه بعلمه، من جميع الخلق، والقرب الخاص: قربه من عابديه، وسائليه، ومحبيه، فهو قريب منهم بنصره وتأييده.

وفي هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ وهذا النوع، قرب يقتضي إلطافه تعالى، وإجابته

لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقترن، باسمه (القريب) اسمه (المجيب) ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾، يقول: إن ربي قريب ممن أخلص له العبادة ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا دعاه.

وفي اللغة:

(المجيب) الذي يقابل الدعاء بالعطاء، و(الجواب) رديد الكلام، والفعل أجاب، و(القريب) نقيض البعيد، و(قرب) دنا.

اقتران الاسمين (القريب المجيب) يبعث في العبد الصالح الطمأنينة والثقة بالله والتوكل على الله وكثرة الدعاء مع اليقين بأن الله (قَرِيبٌ مُّجِيبٌ)، وأن مع علمه بحاجات عباده إلا أنه يحب أن يسمع دعاءهم وإلحاحهم وتضرعهم وذكرهم، ووعدهم بالإجابة، ففي عقيدة المؤمنين... (من دعا الله استجاب له): ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ كيف لا، وهو ﴿القريب المجيب﴾ سبحانه وتعالى.

القوي العزيز

ورد اسم الله (القوي) تسع (٩) مرات في كتاب الله.. اقترن بـ(العزيز) سبع (٧) مرات، وبـ(شديد العقاب) مرتين.. وهذه صفة لله وليست من الأسماء الحسنى، وهو الاسم الوحيد الذي جاء قبل (العزيز)، أما الأسماء الأخرى التي اقترنت بـ(العزيز) فأتت بعده.. والمعنى بيَّن.. (القوي) يكون (عزيزاً). الآيات التي ورد فيها الاسمان مقترنين هي:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ (هود).

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ (الشورى).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ (الحديد).

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ (المجادلة).

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ (الأحزاب).

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ (الحج).

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ (الحج).

التفسير:

جملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ تعليل لجملة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾، أي كان نصرهم مضموناً لأنّ ناصرهم قدير على ذلك بالقوة والعزة.

والقوة مستعملة في القدرة: والعزّة هنا حقيقية لأنّ العزّة هي المنعة، أي عدم تسلّط غير صاحبها على صاحبها.

وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ تعليل لمضمون الجملة قبلها، فإن ما أشركوهم مع الله في العبادة كَلّ ضعيف ذليل فما قدروا الله حق قدره لأنه قوي عزيز فكيف يشاركه الضعيف الذليل. والعدول عن أن يقال: ما قدرتم الله حقّ قدره، إلى أسلوب الغيبة تعريضاً بهم بأنّهم ليسوا أهلاً للمخاطبة توبيخاً لهم، وبذلك يندمج في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ تهديد لهم بأنه ينتقم منهم على وقاحتهم.

وتوكيد الجملة بحرف التوكيد ولام الابتداء مع أن مضمونها مما يختلف فيه... لتنزيل علمهم بذلك منزلة الإنكار لأنهم لم يعملوا على موجب العلم حين أشركوا مع القوي العزيز ضعفاء أذلة.

وجملة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ معترضة.

وقد أكد الخبر بثلاث مؤكدات للاهتمام به (إن، هو، الألف واللام). وعبّر عن ثمود بالذين ظلموا للإيماء بالموصول إلى علّة ترتب الحكم، أي

لظلمهم وهو ظلم الشّرك. وفيه تعريض بمشركي أهل مكّة بالتّحذير من أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك لأنّهم ظالمون أيضاً.

وعطف ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ على صفة ﴿لطيف﴾ أو على جملة ﴿يرزق من يشاء﴾ وهو تمجيد للّٰه تعالى بهاتين الصفتين، ويفيد الاحتراس من توهم أن لطفه عن عجز أو مصانعة، فإنه قوي عزيز لا يعجز ولا يصانع، أو عن توهم أن رزقه لمن يشاء عن شحّ أو قِلّةٍ فإنه القوي، والقوي تنتفي عنه أسباب الشحّ، والعزيز ينتفي عنه سبب الفقر فرزقه لمن يشاء بما يشاء منوط لحكمة عَلِمها في أحوال خلقه عامة وخاصة، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾ (الشورى) الآية.

والإخبار عن اسم الجلالة بالمسند المعَرّف باللام يفيد معنى قصر القوة والعزة عليه تعالى، وهو قصر الجنس للمبالغة لكماله فيه تعالى حتى كأنَّ قوة غيره وعزّة غيره عَدَم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾ وإنما حسن ذلك، لأنه تعالى بين أنه أوصل ذلك العذاب إلى الكافر وصان أهل الإيمان عنه، وهذا التمييز لا يصح إلا من القادر الذي يقدر على قهر طبائع الأشياء فيجعل الشيء الواحد بالنسبة إلى إنسان بلاء وعذاباً وبالنسبة إلى إنسان آخر راحة وريحاناً.

﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ الذي له القوة كلها، فلا حول ولا قوة لأحد من المخلوقين إلا به، الذي دانت له جميع الأشياء.

هذا وعد ووعيد، وعيد لمن حادَّ الله ورسوله بالكفر والمعاصي، أنه مخذول مذلول، لا عاقبة له حميدة، ولا راية له منصورة.

ووعد لمن آمن به، وبرسله، واتبع ما جاء به المرسلون، فصار من عباد الله المفلحين، أن لهم الفتح والنصر والغلبة في الدنيا والآخرة، وهذا وعد لا يخلف ولا يغير، فإنه من الصادق القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء يريده.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾: أي: قادر غالب، فكيف يتجه أن يكون العاجز المغلوب شبيهاً له! أو لقوي ينصر أولياءه، عزيز ينتقم من أعدائه، بعد أن ذكر تعالى أنهم لم يقدروا له قدراً، حيث عبدوا معه من هو منسلخ من صفاته، وسمَّوه باسمه مع عجزه. ختم بصفتين منافيتين لصفات آلهتهم، وهي القوة والغلبة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ أي: كامل القوة، عزيز لا يُرام، قد قهر الخلائق، وأخذ بنواصيهم، فأبشروا، يا معشر المسلمين، فإنكم وإن ضعف عَددكم، وعُددكم، وقوي عَدد عدوكم وعِدتهم فإن ركنكم (القوي العزيز)، ومعتمدكم على من خلقكم وخلق ما تعملون، فاعملوا بالأسباب المأمور بها، ثم اطلبوا منه نصركم، فلا بد أن ينصركم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ أي: كامل القوة، كامل العزة، من كمال قوته وعزته، أن نواصي الخلق بيديه، وأنه لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بإرادته ومشيئته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ومن كمال قوته، أنه يمسك السماوات والأرض أن تزولا ومن كمال قوته، أنه

يبعث الخلق كلهم، أولهم وآخرهم، بصيحة واحدة، ومن كمال قوته، أنه أهلك الجبابرة والأمم العاتية، بشيء يسير، وسوط من عذابه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ وكان الله دائماً قوياً على فعل ما يشاء فعله بخلقه، فينصر من شاء منهم على من شاء أن يخذله، لا يغلبه غالب، ﴿عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾: يقول: هو شديد الانتقام ممن انتقم منه من أعدائه.

عن قتادة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾: قوياً في أمره، عزيزاً في نقمته.

(القوة) نقيض الضعف، و(أقوى) أي فني زاده ومنه قوله تعالى: ﴿ومتاعاً للمقوين﴾.

و(القوي) القادر على كل ما يريد.

اقتران الاسمين (**القوي العزيز**) يجعل للمؤمنين مرجعاً وللمخلصين سنداً فيعيشون بعزة ومنعة لأنهم تولّوا (**القوي العزيز**) فمن كانت عقيدته صحيحة وعمله صالحاً عاش قوياً عزيزاً لأنه تعلق بـ(**القوي العزيز**) سواء كان فرداً أو أُمّة...

الكبير المتعال

ورد اسم الله (الكبير) ست (٦) مرات في كتاب الله، اقترن بـ(العلي) خمس (٥) مرات، وأتى بعده، واقترن بـ(المتعال) مرة واحدة، وأتى قبله.

﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ (الرعد).

التفسير:

في قوله تعالى: (الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)

فهو المتعالي على كل شيء بقهره، والمتعالى عن كل سوء ونقص بكماله والمتعالي بذاته فوق خلقه. فالله تعالى هو المتعال بأنواع ثلاثة.

وقال: ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ (الرعد: ٩) فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدس وتنزه، وعز وجل عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

قال العلامة الطيبي: إن معنى ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ بالنسبة إلى مردوفه وهو ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ هو العظيم الشأن الذي يكبر عن صفات المخلوقين ليضم مع العلم العظمة والقدرة بالنظر إلى ما سبق من قوله تعالى: ﴿مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ (الرعد: ٨) إلى آخر ما يفيد التنزيه عما يزعمه النصارى والمشركون.

﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ على جميع خلقه بذاته وقدرته وقهره.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾.

والله عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم تروه، وما شاهدتموه، لا يخفى عليه شيء، لأنهم خلقه وتدبيره.

وهو (المتعال) من (العلو) مثل (المتقارب) من (القرب) و(المتداني) من (الدنو).

في اللغة:

(الكبير) الذي كل شيء دونه.

(المتعال) المستعلي على كل شيء بقوته.

على وزن (المتفاعل) من (العلو).

(المتعال) الذي جلَّ عن إفك المفترين، وتنزَّه عن وساوس المتحيرين.

فتعالى الله عن الشريك والمثل والصاحبة والولد (لا إله إلا هو) سبحانه وتعالى.

واقترن (الكبير المتعال).. حتى لا يجرؤ أحد أن ينسب إلى الله ما لا يليق به... فهو (أكبر) من كل شيء، و(تعالى) عن كل شيء.. اسمان لله عز وجل.. إذا عرفهما العبد لا يملك إلا أن يقول: (لا إله إلا الله)، قولاً باللسان، وإيماناً بالقلب، وعملاً بالجوارح.

اللطيف الخبير

ورد اسم الله (اللطيف) سبع مرات في كتاب الله اقترن في خمس آيات باسم الله (الخبير) وأتي قبله ولم يقترن بغيره من الأسماء الحسنى... الآيات التي اقترن فيها الأسمان هي:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ (الحج).

﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ (لقمان). ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ (الأنعام).

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ (الملك).

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ (الأحزاب).

وانفرد اسم الله (اللطيف) في آيتين هما:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ (يوسف).

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ (الشورى).

في التفسير:

وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ في موقع التعليل للإنزال، أي أنزل الماء المتفرّع عليه الاخضرار لأنه لطيف، أي رفيق بمخلوقاته، ولأنه عليم بترتيب المسببات على أسبابها.

الجملة خبر ثان عن اسم الجلالة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ (الحج) للتنبيه على اختصاصه بالخالقية والملك الحقّ ليعلم من ذلك أنه المختصّ بالمعبودية فيرد زعم المشركين أنّ الأصنام له شركاء في الإلهية وصرف عبادتهم إلى أصنامهم، والمناسبة هي ذكر إنزال المطر وإنبات العشب فما ذلك إلا بعض ما في السماوات وما في الأرض. وإنما لم تعطف الجملة على التي قبلها مع اتحادهما في الغرض لأن هذه تتنزّل من الأولى منزلة التذييل بالعموم الشامل لما تضمنته الجملة التي قبلها، ولأن هذه لا تتضمن تذكيراً بنعمة.

وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ يجوز أن تكون من كلام لقمان فهي كالمقصد من المقدمة أو كالنتيجة من الدليل، واللطيف: من يعلم دقائق الأشياء ويسلك في إيصالها إلى من تصلح به مسلك الرفق، فهو وصف مؤذن بالعلم والقُدرة الكاملين، أي يعلم ويقدر وينفذ قدرته، وتقدم في قوله ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ في سورة الأنعام. ففي تعقيب ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ بوصفه بـ (اللطيف) إيماء إلى أن التمكن منها وامتلاكها بكيفية دقيقة تناسب فلق الصخرة واستخراج الخردلة منها مع سلامتهما وسلامة ما اتصل بهما من اختلال نظام صُنعه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ ـ تعالى ـ لطيف خبير أي: محيط بجميع الأشياء جليلها وحقيرها، عظيمها وصغيرها.

فالمقصود من الآية الكريمة، غرس الهيبة والخشية والمراقبة لله ـ تعالى ـ سبحانه ـ لا يخفى عليه شيء في هذا الكون، مهما دق وقل وتخفَّى في أعماق الأرض والسماء.

ما تعلق قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ بما تقدم؟ الجواب: من وجوه أحدها: أراد أنه رحيم بعباده ولرحمته فعل ذلك حتى عظم انتفاعهم به، لأن الأرض إذا أصبحت مخضرة والسماء إذا أمطرت كان ذلك سبباً لعيش الحيوانات على اختلافها أجمع. ومعنى (خبير) أنه عالم بمقادير مصالحهم فيفعل على قدر ذلك من دون زيادة ولا نقصان وثانيها: قال ابن عباس (لطيف) بأرزاق عباده (خبير) بأعمال خلقه وثالثها: قال مقاتل: (لطيف) باستخراج النبت (خبير) بكيفية خلقه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ اللطيف الذي يدرك بواطن الأشياء، وخفياتها، وسرائرها، الذي يسوق إلى عبده الخير، ويدفع عنه الشر بطرق لطيفة تخفى على العباد، ومن لطفه، أنه يري عبده، عزته في انتقامه وكمال اقتداره، ثم يظهر لطفه بعد أن أشرف العبد على الهلاك، ومن لطفه، أنه يعلم مواقع القطر من الأرض، وبذور الأرض في باطنها، فيسوق ذلك الماء إلى ذلك البذر، الذي خفي على علم الخلائق فينبت منه أنواع النبات، (خَبِيرٌ) بسرائر الأمور، وخبايا الصدور. ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾.

في اللغة:

(لطف) في التنزيل العزيز (اللّه لطيف بعباده) وفيه (وهو اللطيف الخبير) ومعناه واللّه أعلم الرفيق بعباده قال أبو عمرو: اللطيف الذي يوصل إليك إربَكَ في رِفْق... واللُّطفُ من اللّه تعالى التوفيق والعِصمة وقال ابن الأثير في تفسيره اللطيف هو الذي اجتمع له الرِّفق في الفعل والعلمُ بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدّرها له من خلقه يقال لَطف به وله بالفتح يَلْطُف لُطْفاً إذا رَفَقَ به فأَما لَطُف بالضم يَلْطُف فمعناه صغُر ودقَّ.

وفي حق اللّه (الذي لا يكلف عباده ما لا يطيقون ولا يطلب منهم ما لا يستطيعون) زيادة على ما مضى من معان.

إن اقتران (اللطيف الخبير) يورث عند العبد المؤمن الثقة باللّه في الشدائد ويعلم يقيناً حال المصيبة أن (اللطيف الخبير) هو الذي قدرها فيلجأ إليه موقناً أن عاقبته خيراً.

و(اللطيف الخبير) لا يكلف عباده ما لا يطيقون فلا يستثقل عبادة ولا طاعة أمَرَه بها.

و(اللطيف الخبير) يعلم دقائق الأمور ولا تخفى عليه خافية فيراقبه العبد المؤمن في الدقائق فضلاً عن عظائم الأمور.

الملك الحق

ورد اسم الله (الحق) في كتاب الله عز وجل سبع (٧) مرات، واقترن بـ(الملك) مرتين..

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ (طه).

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ (المؤمنون).

في التفسير:

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾

أي: تعاظم وتقدّس، وتنزّه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، ومنه خلقكم عبثاً سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ أي الذي يحق له الملك، لأن كل شيء منه وإليه.

وقال بعضهم: الملك الحق: الثابت الذي لا يزول ملكه.

تدل على أنه تعالى ما خلق الخلق إلا بالحق، وأنه لا بد باعثهم، ومجازيهم على أعمالهم، وإن كان أكثر الناس لا يعلمون هذا، فكانوا غافلين عن الآخرة كافرين بلقاء ربهم.

جملة ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ معترضة بين جملة ﴿**وكذلك**

أنزلناه﴾ وبين جملة ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾. وهذا إنشاء ثناء على الله منزل القرآن وعلى منة هذا القرآن، وتلقين لشكره على ما بيّن لعباده من وسائل الإصلاح وحملهم عليه بالترغيب والترهيب وتوجيهه إليهم بأبلغ كلام وأحسن أسلوب فهو مفرع على ما تقدم من قوله ﴿**وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً**﴾ إلى آخرها..

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ أي تعاظم وتنزه عن الصاحبة والولد والشريك والعبث وجميع النقائص، بل هو ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت هو وصفاته العلى و(الكريم) صفة للعرش لتنزل الخيرات منه أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ تنبيهاً على ما يلزم خلقه من تعظيمه وإنما وصفه بالحق لأن ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره أولى به فلهذا وصف بذلك، وتعالى تفاعل من العلو.

فالذي له ملك السماوات والأرض هو الملك الحق الكامل الملك، وهو الذي يملك التصرف في ملكه كما يشاء بالإحياء والإماتة وحده، ولما كان الله تعالى هو الملك الحق، كانت عبادته حقاً متصلة النفع لصاحبها في الدنيا والآخرة.

في اللغة:

(الملك): هو المتصرف في ملكه.. ولله ملك السماوات والأرض.. والله عز وجل هو (ملك الملوك).. ومع أن وصف (الملك) ورد في كتاب الله عز

وجل لبعض المخلوقين في الدنيا، إلا أنه يوم القيامة ينادي الملك عز وجل وقد قبض الأرض والسماوات مطويات بيمينه... ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ ...﴾ فلا يجيب أحد... فيجيب نفسه عز وجل ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾.

(الحق) خلاف الباطل.

وأصل الحق المطابقة والموافقة والثبات وعدم الزوال.

إن اقتران هذين الاسمين (الملك الحق) فيه رسالة لملوك الأرض.. أن ملككم محدود وزائل وزيف وسترون ذلك رأي العين يوم القيامة فليكن ملككم في الأرض وفق ما يرضي ملك الملوك سبحانه وتعالى...

واقتران الاسمين (الملك الحق) يبعث الذل في قلب العبد أن يخضع للملك الحق سبحانه وتعالى ويحقق العبودية كما يرضاها (الملك الحق)... وكذلك يبعث الطمأنينة في قلب كل مظلوم بأن (الملك الحق) أقسم أن يستجيب لدعائه وأن ينصفه ولو بعد حين...

المليك المقتدر

ورد اسم الله (المليك) في كتاب الله عز وجل مرة واحدة، واقترن بـ(المقتدر): ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ (القمر).

(المقتدر) على وزن مفتعل، ورد في كتاب الله ٣ مرات، اقترن بـ(العزيز) مرة، وبـ(المليك) مرة وانفرد مرة... ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ (الكهف). وهو أبلغ من (القادر) و(القدير).

وفي التفسير:

﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم ـ وقيل ـ جزاء الصادقين، مقعد صدق.

﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يعجزه شيء.

قال جعفر الصادق رضي الله عنه: مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلا الصادقون.

وهذه آخر آية من سورة القمر لتبدأ بعدها سورة (الرحمن)، فكأن الآيات تتصل.. ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ سبحانه وتعالى.

وفي اللغة:

(المليك) من صيغ المبالغة على وزن (فعيل) وجمع (المليك) (ملكاء)، و(المليك) هو المالك العظيم المُلك...

وهذان الاسمان (مليك مقتدر) اقترنا لبيان المنزلة العظيمة التي ادّخرها الله لعباده المخلصين الصادقين.. فهم في الآخرة ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾، وذلك الفوز الذي ما بعده فوز والمقعد الذي ما بعده مقعد.. نسأل الله أن يجعلنا من أهله.

المولى النصير

ورد الاسمان مقترنين مرتين في كتاب الله عز وجل:

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ (الأنفال).

﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ (الحج)

التفسير:

﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ﴾ مستأنفة معلّلة للأمر بالاعتصام بالله لأنّ المولى يُعتصم به ويُرجع إليه لعظيم قدرته وبديع حكمته.

والمولى: السيد الذي يراعي صلاح عبده.

وفرع عليه إنشاء الثناء على الله بأنه أحسن مولى وأحسن نصير. أي نِعم المدبر لشؤونكم، ونِعم الناصر لكم. ونصير: صيغة مبالغة في النصر، أي نِعم المولى لكم ونعم النصير لكم. وأما الكافرون فلا يتولاهم تولي العناية ولا ينصرهم.

وهذا من براعة الختام، كما بَيّن لذوي الأفهام.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ ولم ينتهوا عن كفرهم ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ﴾ أي ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ لا يضيع من تولاه ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ لا يُغلب من نصره: هذا ومن باب الإشارة في الآيات: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ﴾ (الأنفال: ١٧) تأديب منه سبحانه لأهل بدر وهداية لهم إلى فناء الأفعال حيث سلب الفعل عنهم بالكلية، ويشبه هذا من وجه قوله سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ (الأنفال: ١٧).

﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ أي مواليكم ومعينكم وهذا وعد صريح بالظّفر والنصر.

﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ (الأنفال) ونظير هذه الآية ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ (البقرة: ٢٥٧) أي ناصرهم، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ (التحريم: ٤) أي ناصره، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ (محمد).

﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾، ولم ينتهوا عن كفرهم، ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ﴾، ناصركم، فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم، ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾، فلا يضيع من تولاه، ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾، فلا يُغلب من نصره.

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أي: امتنعوا به وتوكلوا عليه في ذلك، ولا تتكلوا على حولكم وقوتكم، ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ﴾ الذي يتولى أموركم، فيدبركم بحسن تدبيره، ويصرفكم على أحسن تقدير، ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ أي: نعم

المولى لمن تولاه، فحصل له مطلوبه ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ لمن استنصره فدفع عنه المكروه.

وفي اللغة:

(المولى) هو كل ما انعقد بينك وبينه سبب يواليك به، لذا وصف الله نفسه بأنه مولى المؤمنين ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ (محمد)، وأي سبب أعظم من التوحيد لله والعبودية له سبحانه، وأي سبب أمتن من العروة الوثقى التي تربط بين العبد المؤمن وربه.

وتطلق العرب اسم الموالي على العصبة ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ﴾ (النساء: ٣٣).

و(النصر) إعانة الضعيف على عدوه.

و(النصير) صيغة المبالغة من (الناصر) والجمع أنصار مثل (شريف) و(أشراف).

وفي اقتران (المولى) بـ(النصير) طمأنة للمؤمنين بأن الله عز وجل مولاهم.. حليفهم متولي شؤونهم.. في كل ما يحتاجون إليه فمن باب أولى أن يكون معهم في أحلك المواقف وأشد الأزمات لحظة قتال أعداء الله وأعدائهم فينصرهم عليهم.. فتمتلأ قلوبهم بالتوكل على الله والثقة بالله والركون إليه عز وجل وحده.. فهو سبحانه عز وجل ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾.

الواحد القهار

ورد الاسمان لله عز وجل مقترنين في ستة (٦) مواضع من كتاب الله الكريم هي:

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ (يوسف).

﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿١٦﴾ ﴾ (الرعد).

﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ (إبراهيم).

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾ (ص).

﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ (الزمر).

﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ (غافر).

في التفسير:

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ ذكر الواحد القهار ههنا، لأن الملك إذا كان لمالك واحد غلاب لا يغالب قهّار لا يقهر فلا مستغاث لأحد إلى غيره فكان الأمر في غاية الصعوبة، ونظيره قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ (غافر: ١٦) ولـمَّا وصف نفسه سبحانه بكونه قهاراً بيّن عجزهم وذلتهم.

اعلم أنه تعالى لما حكى في أول سورة (ص) أن محمداً ﷺ لما دعا الناس إلى أنه لا إله إلا إله واحد، وإلى أنه رسول من عند الله، وإلى أن القول بالقيامة حق، فأولئك الكفار أظهروا السفاهة وقالوا إنه ساحر كذاب واستهزؤا بقوله، ثم إنه تعالى ذكر قصص الأنبياء لوجهين الأول: ليصير ذلك حاملاً لمحمد ﷺ على التأسي بالأنبياء عليهم السلام في الصبر على سفاهة القوم والثاني: ليصير ذلك رادعاً للكفار على الإصرار على الكفر والسفاهة وداعياً إلى قبول الإيمان، ولما تمم الله تعالى هذه البيانات عاد إلى تقرير المطالب المذكورة في أول السورة وهي تقرير التوحيد والنبوة والبعث، فقال قل يا محمد إنما أنا منذر ولابد من الإقرار بأنه ما من إله إلا الله الواحد القهار.

ونذكر طريقة أخرى في تفسير هذه الآيات، فنقول إنه تعالى ذكر من صفاته في هذا الموضع خمسة: الواحد والقهار والرب والعزيز والغفار، أما كونه واحداً فهو الذي وقع الخلاف فيه بين أهل الحق وبين المشركين واستدل تعالى على كونه واحداً بكونه قهاراً وقد بينا وجه هذه الدلالة إلا

أن كونه قهاراً وإن دل على إثبات الوحدانية إلا أنه يوجب الخوف الشديد فأردفه تعالى بذكر صفات ثلاثة دالة على الرحمة والفضل والكرم أولها: كونه رباً للسموات والأرض وما بينهما، وذلك يفيد الرجاء العظيم وثانيها: كونه عزيزاً والفائدة في ذكره أن لقائل أن يقول هب أنه رب ومربي وكريم إلا أنه غير قادر على كل المقدورات، فأجاب عنه بأنه عزيز أي قادر على كل شيء فهو يغلب الكل ولا يغلبه شيء وثالثها: كونه غفاراً والفائدة في ذكره أن لقائل أن يقول هب أنه رب ومحسن ولكنه يكون كذلك في حق المطيعين المخلصين في العبادة، فأجاب عنه بأن من بقي على الكفر سبعين سنة ثم تاب فإني أزيل اسمه عن ديوان المذنبين وأستر عليه بفضلي ورحمتي جميع ذنوبه وأوصله إلى درجات الأبرار.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ والمراد من هذا الكلام: إقامة الدلائل القاهرة على كونه منزهاً عن الولد وبيانه من وجوه الأول: أنه لو اتخذ ولداً لما رضي إلا بأكمل الأولاد وهو الإبن فكيف نسبتم إليه البنت... الثاني: أنه سبحانه واحد حقيقي والواحد الحقيقي يمتنع أن يكون له ولد.

وأما أن كونه قهاراً يمنع من ثبوت الولد له، فلأن المحتاج إلى الولد هو الذي يموت فيحتاج إلى ولد يقوم مقامه، فالمحتاج إلى الولد هو الذي يكون مقهوراً بالموت، أما الذي يكون قاهراً ولا يقهره غيره كان الولد في حقه محالاً، فثبت أن قوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ ألفاظ مشتملة على دلائل قاطعة في نفي الولد عن الله تعالى.

قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ (غافر) فإنه تعالى في ذلك اليوم يكون هو السائل وهو المجيب، ولا يسأل في ذلك اليوم لأنه ليس يوماً هو في شأن يتعلق بالسائلين من الناس والملائكة وغيرهم.

﴿ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ الواحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالواحد لا يكون إلا قهاراً، والقهار لا يكون إلا واحداً.

في اللغة:

(الواحد) اسم فاعل للموصوف بالوحدانية أو الواحدية.

و(الواحد) القائم بنفسه المنفرد بوصفه الذي لا يفتقر إلى غيره، فقد كان ولم يكن شيء معه ولا شيء قبله ولا شيء بعده وما زال بجميع أسمائه وصفاته جميعها قبل خلق خلقه.

(القهر) الغلبة والأخذ من فوق.

(القهّار) صيغة مبالغة (قهر) سبحانه وتعالى خلقه بقدرته وسلطانه.

والفرق بين (القاهر) و(القهار) أن (القاهر) هو الذي له علو القهر الكلي المطلق باعتبار جميع المخلوقات، وعلى اختلاف تنوعهم فهو قاهر فوق عباده له علو القهر.. و(القهّار) مقترناً بعلو الشأن والفوقية فلا يقوى ملك من الملوك على أن ينازعه في علوه مهما تمادى في سلطانه وظلمه إلاّ وقهره (القهار).

واقتران الإسمين (الواحد القهّار).. انذارٌ لمن يظن في نفسه القوة

والغلبة على خلق الله كما فعل فرعون فبلغ في طغيانه أن قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ (النازعات).

وربما يطغى بعض ملوك الأرض فيذكرهم (الواحد القهار) بأنهم سينادون يوم القيامة: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ...﴾.

فينبغي أن يذعن كل ذي ملك لـ(الواحد القهار)... فلا ملك حقاً إلا لله... سبحانه (الواحد القهّار).

الواسع الحكيم

ورد اسم الله (الواسع) لله عز وجل ثمان (٨) مرات في كتاب الله، واقترن بـ(الحكيم) مرة واحدة فقط.

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ (النساء).

في التفسير:

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا ﴾ أي: كثير الفضل واسع الرحمة، وصلت رحمته وإحسانه إلى حيث وصل إليه علمه.

ولكنه مع ذلك كان ﴿ حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ أي: يعطي بحكمة، ويمنع لحكمة. فإذا اقتضت حكمته منع بعض عباده من إحسانه، بسبب من العبد لا يستحق معه الإحسان، حرمه عدلاً وحكمة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ الواسع عام في الغنى والقدرة والعلم وسائر الكمالات. وناسب ذكر وصف الحكمة، وهو وضع الشيء موضع ما يناسب، لأن السعة ما لم تكن معها الحكمة كانت إلى فساد أقرب منها للصلاح قاله الراغب.

وقال ابن عباس: يريد فيما حكم ووعظ. وقال الكلبي: فيما حكم على الزوج من إمساكها بمعروف أو تسريح بإحسان.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ والمعنى أنه تعالى لما وعد كل واحد

منهما بأنه يغنيه من سعته وصف نفسه بكونه واسعاً، وإنما جاز وصف الله تعالى بذلك لأنه تعالى واسع الرزق، واسع الفضل، واسع الرحمة، واسع القدرة، واسع العلم، فلو ذكر تعالى أنه واسع في كذا لاختص ذلك بذلك المذكور، ولكنه لما ذكر الواسع وما أضافه إلي شيء معين دلّ على أنه واسع في جميع الكمالات.

في اللغة:

الواسع... يسع خلقه جميعاً بالكفاية والإفضال والجود والتدبير.

الحكيم... ذو الحكمة المطلقة التي تليق به عز وجل (**فعيل**) يشرع ويقضي أفضل الأشياء بأفضل العلوم ويضع كل شيء في أفضل موضع.

ذكر ابن القيم في بيان العلة في اقتران الاسمين ألا يستبعد العبد مضاعفة الأجر، ولا يضيق عنها عطاؤه فإن المضاعف واسع العطاء، واسع الغنى واسع الفضل، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق، فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها، فإن كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس أهله بحكمته.

واجتمع الاسمان (**الواسع الحكيم**) في آية افتراق الزوجين ليعلما يقيناً أنهما إن آمنا بالله واتقى كل منهما ربه صادقاً، فإن (**الواسع الحكيم**) سيتدبر أمرهما.. الزوج والزوجة في إيجاد حياة خير مما سبق.. فهو عزوجل (**الواسع الحكيم**) فلا أفضل من قضائه عز وجل.

الواسع العليم

ورد اسم الله (الواسع) ثمان (٨) مرات في كتاب الله، واقترن بـ(العليم) سبع (٧) مرات كما في الآيات التالية:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ (البقرة).

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ (البقرة).

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ (البقرة).

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ (البقرة).

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ (آل عمران).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (المائدة).

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾ ﴾ (النور).

في التفسير:

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾ ﴾ (النور)، فيبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، حسبما تقتضيه المشيئة والحكمة والمصلحة. فالغِنَى، للمتزوج، مقيد بالمشيئة، فلا يلزم الخلف بوجود من لم يستغن مع التزوج، وقيل: مقيد بحسن القصد.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾ ﴾ (البقرة) فيه إثبات الوجه لله تعالى، كما يليق به تعالى، وأن لله وجهاً لا تشبهه الوجوه، وهو ـ تعالى ـ واسع الفضل والصفات عظيمها، عليم بسرائركم ونياتكم. فمن سعته وعلمه، وسع لكم الأمر، وقبل منكم المأمور، فله الحمد والشكر.

﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾ ﴾ كثير الفضل كثير الكرم، لا يخص برحمته وبره العام أحداً عن أحد، ولا شريفاً عن وضيع، ولكنه مع ذلك (عَلِيمٌ) بمن يستحق الفضل فيضعه فيه، فأزال بهذا الكلام ما في قلوبهم من كل ريب

وشك وشبهة لتبيينه أن أسباب الملك متوفرة فيه، وأن فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، ليس له راد، ولا لإحسانه صاد.

﴿والله يضاعف﴾ أكثر من هذه المضاعفة ﴿لمن يشاء﴾ فيعطيهم أجرهم بغير حساب ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ الفضل، واسع العطاء، لا ينقصه نائل ولا يحفيه سائل، فلا يتوهم المنفق أن تلك المضاعفة فيها نوع مبالغة، لأن الله تعالى لا يتعاظمه شيء ولا ينقصه العطاء على كثرته، ومع هذا فهو (عَلِيمٌ) بمن يستحق هذه المضاعفة ومن لا يستحقها، فيضع المضاعفة في موضعها لكمال علمه وحكمته.

﴿يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً﴾ لذنوبكم وتطهيراً لعيوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾ وإحساناً إليكم في الدنيا والآخرة، من الخلف العاجل، وانشراح الصدر، ونعيم القلب والروح والقبر، وحصول ثوابها وتوفيتها يوم القيامة، وليس هذا عظيماً عليه لأنه (وَٰسِعٌ) الفضل عظيم الإحسان (عَلِيمٌ) بما يصدر منكم من النفقات قليلها وكثيرها، سرها وعلنها، فيجازيكم عليها من سعته وفضله وإحسانه.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ أي: الله هو الذي يحسن على عباده بأنواع الإحسان ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ ممن أتى بأسبابه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ الفضل كثير الإحسان (عَلِيمٌ) بمن يصلح للإحسان فيعطيه، ومن لا يستحقه فيحرمه إياه.

(يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ) أي: برحمته المطلقة التي تكون في

الدنيا متصلة بالآخرة، وهي نعمة الدين ومتمماته ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ الذي لا يصفه الواصفون ولا يخطر بقلب بشر، بل وصل فضله وإحسانه إلى ما وصل إليه علمه، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً.

﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ﴾ أي: المتزوجون ﴿يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فلا يمنعكم ما تتوهمون، من أنه إذا تزوج، افتقر بسبب كثرة العائلة ونحوه، وفيه حث على التزوج، ووعد للمتزوج بالغنى بعد الفقر. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ كثير الخير عظيم الفضل ﴿عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ بمن يستحق فضله الديني والدنيوي أو أحدهما، ممن لا يستحق، فيعطي كلاًّ ما علمه واقتضاه حكمه.

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ بحسب حال العامل وعمله، ونفعه ومحله ومكانه.

وتأمل هذا الحث اللطيف على النفقة، وأن المنفق قد أقرض الله المليء الكريم، ووعده المضاعفة الكثيرة، كما قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾.

ولما كان المانع الأكبر من الإنفاق خوف الإملاق، أخبر تعالى أن الغنى والفقر بيد الله، وأنه يقبض الرزق على من يشاء، ويبسطه على من يشاء، فلا يتأخر من يريد الإنفاق خوف الفقر، ولا يظن أنه ضائع، بل مرجع

العباد كلهم إلى الله، فيجد المنفقون والعاملون أجرهم عنده مدخراً، أحوج ما يكونون إليه، ويكون له من الوقع العظيم ما لا يمكن التعبير عنه.

والمراد بالقرض الحسن: هو ما جمع أوصاف الحسن، من النية الصالحة، وسماحة النفس بالنفقة، ووقوعها في محلها، وأن لا يتبعها المنفق منًّا ولا أذى، ولا مبطلاً ومنقصاً.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ يحث الباري عباده على الإنفاق مما كسبوا في التجارات، ومما أخرج لهم من الأرض، من الحبوب والثمار، وهذا يشمل زكاة النقدين، والعروض كلها، المعدة للبيع والشراء، والخارج من الأرض، من الحبوب والثمار، ويدخل في عمومها الفرض والنفل. وختم الآية بأنه ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ أي: واسع الصفات، كثير الهبات، عليم بمن يستحق المضاعفة من العاملين، وعليم بمن هو أهل، فيوفقه لفعل الخيرات، وترك المنكرات.

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ (البقرة) لما ذكر أحوال المنفقين للأموال، وأن الله أعطاهم، ومَنّ عليهم بالأموال التي يدركون بها النفقات في الطرق الخيرية، وينالون بها المقامات السنية، ذكر ما هو أفضل من ذلك، وهو أنه يعطي الحكمة من يشاء من عباده، ومن أراد بهم خيراً من خلقه.

والحكمة هي العلوم النافعة، والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال.

وهذا أفضل العطايا، وأجل الهبات، ولهذا قال: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، لأنه خرج من ظلمة الجهالات إلى نور الهدى، ومن حمق الانحراف في الأقوال والأفعال، إلى إصابة الصواب فيها، وحصول السداد، ولأنه كَمّل نفسه بهذا الخير العظيم، واستعد لنفع الخلق أعظم نفع، في دينهم ودنياهم.

وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام والإحجام في موضع الإحجام.

إن اقتران الاسمين (**الواسع العليم**) يبعث في العبد المؤمن يقيناً بأن كل ما يحتاجه من أمور الدنيا والآخرة بيد الله.. المال.. العافية.. الحكمة.. المغفرة.. الشجاعة.. الإيمان.. كل شيء دون استثناء بيد (**الواسع**)... وهو سبحانه يعطي ويمنع ويوسع ويقدر بمقتضى علمه فهو (**العليم**) لذا يحرص العبد المؤمن أن يكون بصدق أهلاً لعطايا الله لأنه (**الواسع العليم**) سبحانه وتعالى.

الولي الحميد

ورد اسم الله (الولي) مرتين في كتاب الله، واقترن بـ(الحميد) مرة واحدة، وانفرد مرة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ (الشورى).

التفسير:

﴿ٱلْوَلِىُّ﴾ الذي يتولى عباده بأنواع التدبير، ويتولى القيام بمصالح دينهم ودنياهم.

﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ المحمود في ولايته وتدبيره، المحمود على ما له من الكمال، وما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال.

وذكر صفتي ﴿ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ دون غيرهما لمناسبتهما للإغاثة لأن الوليَّ يحسن إلى مواليه والحميد يعطي ما يُحمد عليه. ووصف (حميد) فعيل بمعنى مفعول (محمود). (ينشر رحمته) بطلوع الشمس بعد المطر. وإنـزال الغيث بعد القنوط أدعى إلى الشكر لأن الفرح بحصول النعمة بعد البلية أتم، فكان إقدام صاحبه على الشكر أكثر ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ أي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب، عن عمر رضي الله عنه أنه قيل له «اشتد القحط وقنط الناس فقال: إذن مطروا» أراد هذه الآية، ويجوز أن يريد رحمته الواسعة في كل شيء كأنه قيل ينزل الرحمة التي

هي الغيث وينشر سائر أنواع الرحمة (وهو الولي الحميد) (الوالي) الذي يتولى عباده بإحسانه و(الحميد) المحمود على ما يوصل للخلق من أقسام الرحمة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ أي: المطر الغزير الذي به يغيث البلاد والعباد، (من بعد ما قنطوا) وانقطع عنهم مدة ظنوا أنه لا يأتيهم، وأيسوا وعملوا لذلك الجدب أعمالاً فينزل الله الغيث (وينشر) به (رحمته) من إخراج الأقوات للآدميين وبهائمهم، فيقع عندهم موقعاً عظيماً، ويستبشرون بذلك ويفرحون. (وهو الولي) الذي يتولى عباده بأنواع التدبير ويتولى القيام بمصالح دينهم ودنياهم (الحميد) في ولايته وتدبيره المحمود على ماله من الكمال وما أوصله إلى خلقه من أنواع الأفضال.

في اللغة:

(الوليّ) ضد العدو، الناصر، المتولي لأمور الخلق، الولاية بالكسر السلطان، وبالفتح النصرة.

واجتمع الاسمان (الولي الحميد)... ليفرغ العبد قلبه من غير الله في تدبير شؤونه كلها.. في نصرته إذا ظُلم وفي قضاء حاجاته إذا عجز، وفي تلبية دعائه إذا سأل... فهو سبحانه (الولي الحميد).. (محمود) في كل أفعاله وصفاته وأسمائه وقضائه.. حمداً مطلقاً.. بل ينبغي أن يثني العبد على الله (يحمده) على كل ما دبر من أموره، وإذا كان الله هو (ولي) العبد فلا حاجة له إلى سواه لأنه عز وجل (الولي الحميد).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٣
مقدمة الطبعة الأولى	٧
الرحمن الرحيم	١٧
إله واحد	٢١
البر الرحيم	٢٤
التواب الحكيم	٢٧
التواب الرحيم	٣٠
الحق المبين	٣٣
الحكيم الحميد	٣٦
الحكيم الخبير	٣٨
الحكيم العليم	٤٣
الحليم الغفور	٤٧
الحميد المجيد	٤٩
الحي القيوم	٥٣
الخبير البصير	٥٧
الخلاق العليم	٦٠

الرؤوف الرحيم	٦٤
رب رحيم	٦٨
رب غفور	٧٠
الرحيم الغفور	٧٢
رحيم ودود	٧٥
السميع البصير	٧٨
السميع العليم	٨٢
السميع القريب	٨٩
الشاكر العليم	٩٢
الشكور الحليم	٩٥
العزيز الحكيم	٩٨
العزيز الحميد	١٠٦
العزيز الرحيم	١٠٩
العزيز العليم	١١٢
العزيز الغفار	١١٦
العزيز الغفور	١١٩
العزيز المقتدر	١٢٢
العزيز الوهاب	١٢٤
العفوّ الغفور	١٢٨

العفوّ القدير	١٣١
العلي الحكيم	١٣٣
العلي العظيم	١٣٦
العلي الكبير	١٣٩
العليم الحكيم	١٤٢
العليم الحليم	١٤٩
العليم الخبير	١٥٢
العليم القدير	١٥٦
الغفور الحليم	١٥٩
الغفور الرحيم	١٦٣
الغفور الشكور	١٧١
الغفور الودود	١٧٦
الغني الحليم	١٧٩
الغني الحميد	١٨٣
الغني الكريم	١٨٨
الفتاح العليم	١٩١
القريب المجيب	١٩٣
القوي العزيز	١٩٥
الكبير المتعال	٢٠٠

اللطيف الخبير	٢٠٢
الملك الحق	٢٠٦
المليك المقتدر	٢٠٩
المولى النصير	٢١١
الواحد القهار	٢١٤
الواسع الحكيم	٢١٩
الواسع العليم	٢٢١
الولي الحميد	٢٢٧